عبد المجيد فرغلي

بيت تحت الإعدام

مسرحية شعرية من واقع الحياة

إعداد وتقديم

عماد الدين عبد المجيد

القاهـرة

٢٠١٦م

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب :بيت تحت الإعدام
المؤلف : عماد الدين عبد الجيد
تصنيف الكتاب : شعر
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٣٥٩٥ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 540 - 4

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
Email : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تقديم

استمرارًا في نشر إبداع **الشيخ عبد المجيد فرغلي** نواصل نشر الجانب المسرحي من إبداعه الذي بدأ بست مسرحيات شعرية هي:

(العروبة وعودة فلسطين – محمد الدرة رمز الفدا – طومان باي – صور من حياة مصر الفرعونية – آدم وحواء في الجنة والأرض – بين النفس والضمير) ضمن المجلد الرابع من أعماله (أصداء وأضواء) المودع دار الكتب والوثائق القومية المصرية تحت رقم ١٣٦٣٣ لسنة ٢٠١٤.

ثم مسرحية (شروق الأندلس) إصدار المجلس الأعلىٰ للثقافة ٢٠١٦، والمودعة دار الكتب والوثائق القومية المصرية تحت رقم ٢٦٢٢٥ لسنة ٢٠١٥، وهنا نقدم لكم مسرحية (بيت تحت الإعدام)، والتي انتهىٰ من تأليفها الشاعر في ١٠/ ٣/ ١٩٨٥م وفق النسخة المكتوبة علىٰ الكمبيوتر، والتي قام الشاعر بتشكيلها بخط يده، وقد ورد للمسرحية صياغة أخرىٰ في مخطوط هو (الضحية)، وهي كما يقول الشاعر عنها أنها من واقع الحياة – وأضيف لهذا، أن المسرحية من واقع حكمًا بالإزالة لمنزل الشاعر بقرية النخيلة مركز أبو تيج محافظة أسيوط بصعيد مصر، عن طريق أحد أحفاد إقطاعي القرية.

وبذلك نكون قد وضعنا جانبًا إنسانيًا واجتماعيًا من إبداعه أمام أعين الباحثين والدارسين ومحبيه.

والله ولي التوفيق

عماد الدين عبد المجيد فرغلي

مُقَدِّمَة

* **مكان المسرحية:** إحدىٰ قرىٰ صعيد مصر.

* **زمان المسرحية:** معاصر لزمان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

* **نبذة تحليلية:** عن موضوع المسرحية- وإلقاء الضوء علىٰ شخصياتها.

هي قصة بيت بني علىٰ قطعة أرض تم شراؤها من أحد ورثة ثري بالقرية. يبنىٰ البيت.. ويسكن فيه بانيه وأفراد أسرته.. ترفع دعوىٰ من أحد أبناء ثري القرية ضد الشاري لأرض البيت.. ودعاوىٰ مماثلة علىٰ أشخاص آخرين اشتروا من غير صاحب الأرض.. بنو منازل عليها وسكنوا فيها.. دفعوا ثمن الأرض لمن باعها لهم. وترك أصحاب البيوت يقاسون أعباء التهديد بهدم منازلهم بأحكام إزالة مشمولة بنفاذ عاجل.. ويتم التركيز علىٰ أول بيت تم بناؤه.. وثري القرية يصب كل قواه علىٰ كسب الأحكام وله أعوانه من كل المستويات.

الشخصية الرئيسية تتمثل في **عرفان** أحد أبناء ثري القرية، والشخصية المقابلة تتمثل في شخصية «**مظلوم**» أو **صفوان**.. وهو المحكوم علىٰ بيته بالإعدام. أي الإزالة وكفاحه في التصدي لأساليب عرفان الملتوية.. يسكن عرفان في قصر أبيه الريفي في أقصىٰ أطراف القرية.. يقضي سهراته مع خدمه ورجال الأعمال.

في إحدىٰ سهراته يتصنع تقليد العظمة.. عظمة أجداده.. سابق أمجاده يتشبث بحبال الماضي للأسرة، ويبغي إرجاع العجلة لوراء، ينتقد الحاضر، لا يعجبه

شيء في دنيا الواقع، يصرخ في عصبية في جمع من حوله لا أحد أمامي يتنفس أو يهمس بحديث شفاه.

جمع متملق من ناس يبدون كأن علىٰ متن رؤوسهم الطير، كل يتلمس قربـًا، أو ظفراً بذوائب نعمة، يتوقع أن تأتي عرضـًا في كلمة، ليست عن قصد أو بين حديث مكرور ساخت أطرافه في أودية شتىٰ يطرقها عرفان، عن عزبة، عن ثمرة محصوله عن بعض قضاياه.

طاهيه «فرجانٌ» فكه ممراح يضحك في غير مناسبة ضحكات أو بمناسبة حديث يسمعه في صمت من بعض رجال الأعمال ورواد سهرة عرفان، يأتي ويقدم قهواه لضيوف السهرة، ونهاية ما يمضي الليل يتسلل كالقط الهارب بشريحة لحم باقية أو ملقاه فوق خوان المطبخ ينهشها ويبيت علىٰ سطح الدار.

تنعقد السهرة في بهو القصر الريفي مظهره يرمز للماضي البائد ببقايا آثار وفراش من طنف وكراسي أنهكها طول استعمال.

وتوزع أدوار المأساة أو الملهاة حسب استعداد الأشخاص ونوعيات الأدوار.

نمام: يتمثل في شخص «**جويل**» يسلخ أجساد الناس، فيقول فلان بن فلان: قد كان أبوه لا يملك ثمنـًا لقميص أو سروال، أو ثمنـًا لحذاء من منتصف العمر، الآن أصبح في سعة من مال، يبني بيتـًا في أرض من دائر ناحية القرية، لا يدري من أين شراها، أو بيتـًا في حقل من بعض أراضي الإصلاح المعطاة لرجال خدموا في الجيش أيام العدوان، وفلان قد كانت أمه، لا تملك ثمنـًا لحمار أو جلباب من أردأ ألوان القطن، باتستا أو خام مصبوغ، وفلانة كانت تخدم بالأجر في منزل أسرة عرفان، أو تخدم بحظيرة بطعام البطن أو بمقابل لمة من روث الحيوانات،

أو كانت تحضن أطفال الأسرة في بيت المرحوم أبيك، وتسلي سيدة الدار الآن تتوشح بثياب من قصب وحرير، قد كان ولدها في إحدىٰ البلدان العربية قد جاء بمال موفور، وتزوج من بنت فلان راعي الأغنام لأبناء القرية، قد أصبح يملك لقطيع من مائتي رأس يطلقها بحقول الناس.

وسواس خنَّاس: يتمثل في «**ريدي**» يستعرض أضغاث حكايات من زمن فات من هب أو دب، نسليه للسهرة في حضرة عرفان.

ناقل أخبار: يتمثل في شخصية «**حواز**» عاطل لا يشغل عملًا يقتله الكيف يطربه سيجار أو ربع جنيه ليبيع أباه وأخاه أو جارًا يبغض رؤياه ومرآه، يتسقط أخبار القرية، يجمعها من كل مكان، يتصنت بالليل كالكلب المتربص ينقل ما يسمع للسيد عرفان.

مذياع إشاعات: يتمثل في «**عروة**» يتلقط أنباء يسمعها في السهرة أو بين مقاهي القرية.. ينقلها أو ينشرها حسب المطلوب، عن شيء يبغي الترويج لفحواه، بنثرها لقريب وبعيد، يبغي هز الأعصاب أو قصد التشكيك في أمر أو بثًا لإشاعة مسمومة بسموم الحقد علىٰ بعض الناس البسطاء يتمثل في سائق عرفان الخاص وزوجته الرعناء.

سميع منصت: يتمثل في «**راضي**» جواب السهرات يحسن هزات الرأس بموافق أو هذا مضبوط لا بعدم تلفيق رواية مختلفة تروي عن أسرة عرفان أو عن والده المرحوم يؤثرها عن جده طبعًا في الشر ليست في الخير تسلية لضيوف السهرة، ينبش فيها عن سر من عوارت الناس وحكايا ما فيها آثار حقيقية، بل زيف في زيف.

نخبة من بعض محامين من كل المستويات جندهم عرفان لحضور قضاياه تجمعهم في الليل الصدفة أو سابق دعوة ويدور نقاش.

نـادر: في الأصل محاميه كم كسب له حكمـاً سلب به حقًا أو مهد لسواه في كسب قضية منظورة أو منتظرة.

ومحام آخر يتمثل في «**باهر**» محترف مفتن قد أتقن فن مداورة الخصم، يبتز نقود موكله عرفان في جلب قضاياه أو كسب رضاه.

ومحام آخر مأجور، يتقن كسب الأحكام الزورية يتصيد منها المستندات ويتاجر فيها حسب المعلوم المدفوع من خصم وعميل.

ووكيل محام مشبوه: يتمثل في شخصية «**روبي**» أشبه بالمنشار المنهوم طالع- نازل لا يشبع من أكل النار !!، من أي مغاليق تفتح ويقدم أوراق أبيه لمن دفع الأجر، وأجزل في المعلوم من خلف محاميه أو باسمه.

محضر إنذارات: يتمثل في شخصية «**عسران**» يحضرها رسميـاً أو مأجوراً عنها قد وضع محل التنفيذ يطلع بحكم المهنة والعمل علىٰ أية أوراق قد تخنق حقـاً، أو تخلق حقـاً لعميل في غير مبالاة ما دام العائد مضمونـاً أو موثوقـاً فيه.

مظلوم أو صفوان: يتمثل في شخص المحكوم علىٰ بيته بنفاذ الإعدام قد يئس حضور الجلسات في أية أحكام يدري غايتها، ويكاد يقول: ما جدوىٰ القانون لذي حق مغبون تنقصه المستندات، متفق بالإثم عليه من جملة أطراف مع شلة أنكاس، نصابين كل يجذبه به من طرفه، في أربة وفقـاً لهواه، والحق الباكي المسكين، الواقف منفرداً في الساحة من غير سلاح، مهزوم مفلول، مظلوم، معذور لو يقذف بين ثنايا النسيان، ويضيع هضيمـاً خلف كواليس البهتان وأنصار الشيطان.

ويظل هناك «**عرفان**» بطل الأسطورة، وعلىٰ هذا الأسلوب المفضوح المكشوف، تغتال حقوق ملايين، في زمرة سحرة، من عصبة أكَّالي السحت. زبانية السوء وعشاق النهب العلني... وباسم القانون.

أدوار أخرىٰ تتمثل في شخص الراوي «معتوق» وتشير إلىٰ روح ضمير الإنسان الحي.. يتكلم من خلف ستار.. وبقية أفراد خلصاء.. قد نكروا قبح الأفعال وبقايا أسرة مظلوم.. ويدور حوار.. بين الأنقاض.. وأمام البيت المحكوم عليه.. والحيرة تعقد ألسنهم.. والدمعة.. في مؤق العين.. أين يروحون؟ إذا أنهدم البيت.. وباقي الجيران في فزع مرعب.. من طيف إشاعة تنذرهم بمصير مشئوم.. في سلب بيوت تؤوبهم شادوها من عرق الكدح المضني.. وبدمع العين المُهراق.

والبائع للأرض الغارق في نوم الغفلة.. لا يدري ما يفعل.. كيف يواجه عرفان.. أو كيف يحمل.. أعباء التعويض المحتمل وقوعه.. إن تمت أحكام أخرىٰ بإزالة مرفوعة من كل الأشخاص.. المجني عليهم.

وأخيراً تظهر في الأفق بوادر بين الأطراف.. يتجلىٰ.. بمساعي.. أولىٰ الأمر وبريق من فرج الله.. يشرق من فوق سماء.. ويبدد أغلفة اليأس.

ونشيد.. يتمثل في هيئة «**كورس**» ينشده أطفال الحي.. وأبناء البيت.

العائد.. من سيف الجلاد..

أو قبضة مقصلة الإعدام..

وهتاف.. من أعمق.. أعماق الوجدان..

قد عدنا بسلام.. قد عدنا بسلام..

ونهاية.. مشرقة.. وختام.

المؤلـف

عبد المجيد فرغلي محمد رفاعي

أهم أشخاص المسرحية

١- **عرفان**: في دور ثري القرية.

٢- **حواز**: ناقل أخبار

٣- **فرجان**: طاهي عرفان.

٤- **حويل**: نمام يحكي أخبار الناس في سهرة عرفان.

٥- **ريدي**: مسلي السهرة.. بأضغاث حكايات.

٦- **عروة**: مذياع إشاعات.. ينشرها في القرية تخدم عرفان.

٧- **راضي**: يميع يحسن هزات الرأس.. بموافق.. صح.. مضبوط

٨- **نـادر**: محامي عرفان الخاص

٩- **باهـر**: محام مشهور

١٠- **عسران**: محضر إنذارات

١١- **روبي**: وكيل وحام يعمل خلف موكله أو باسمه.

١٢- **معتوق**: الراوي ويمثل صوت الضمير الإنساني يظهر من خلف ستار.

١٣- **صفوان**: صاحب البيت المحكوم بإعدامه ويمثل شخصية مظلوم.

١٤- **حرحور**: حاجب محكمة الإقليم

١٥- **إيثار**: زوجة صفوان.

١٦- **طـارق**: أكبر أبناء صفوان محامي تحت التمرين.

١٧- **عـادل**: الابن الأوسط لصفوان

١٨- **نهـاد**: البنت الكبرىٰ لصفوان.

١٩- **منـال**: البنت الصغرىٰ لصفوان.

٢٠- **عـاد**: الابن الأصغر لصفوان.

٢١- **جعلوط**: شخصية هزلية.

٢٢- **بهتان**: يمثل شخصية جار حاقد يتشفىٰ من آلام الجيران.

٢٣- **عموش**: أحد العمال.

٢٤- **متياس**: بناء يبني بيت صفوان.

٢٥- **عيـاش**: عامل بناء.

٢٦- **أبو الليل**: مشرف عمال في بيت عرفان.

٢٧- **محمود**: سمسار يلعب دوراً في شراء أرض منزل صفوان.

٢٨- **سمحاء**: مالكة أرض لم تثبت ملكيتها بائعة الأرض.

٢٩- **بهـاء**: أحد أبناء بائعة الأرض.

٣٠- **إمـام**: طاهي أسرة سمحاء.

٣١- **هيـام**: إحدىٰ بنات سمحاء.

٣٢- **أطفال**: صبيان الحي.

٣٣- **بدران**: أحد الجيران.

٣٤- مرجانة: امرأة عجوز أصيبت بمرض مزمن.

٣٥- برهام: شيخ عجوز في حي منزل صفوان.

اللون الشعري:

(١) الشعر العمود الملتزم ببحوره وقوافيه.

(٢) الشعر المرسل شعر التفعيلة.

(٣) شعر في لهجة عامية.

فصول المسرحية

الفصل الأول: أسرة صفوان تبحث عن بيت.

الفصل الثاني: البحث عن الأرض وبناء البيت.

الفصل الثالث: صراع القضايا بين عرفان وصفوان.

الفصل الرابع: حكم الإعدام علىٰ بيت صفوان.

الفصل الخامس: بوادر صلح وعودة (**بالفصحىٰ**).

كورس «جماعي» (**أدب شعبي**).

* * *

الفصل الأول

أسرة صفوان
تبحث عن أرض تبنيها بيتاً

المشهد الأول

صفوان في سهرة أسرية

ليلي

أشخاصه:

إيثار - صفوان - طارق - عادل - نهاد - منال - عاد - محمود زائر الأسرة.

إيثار (في تمن مشوب بالضيق والألم):

مـــن لـــي بـــــروض وريـــق ... مـــن حـــول بـــيـــت أنـــيـــقِ
أحـــــس فـــيـــه كـــيـــاني ... مـــن صـــبـــوةٍ وشـــــروقِ
إنـــــي سـئـمـت حـيـاتـي ... في بـيـتـي الـمـخـنـوقِ
قـــالـــوا الـحـزيـنـة فَـرْحَـىٰ ... فـقـلـت مـن فَـــرْطِ ضـيـقِ

صفوان (استسلام لظروف المعيشة):

إيـــثـــار صـــبـــراً أفـيـقـي ... مـــن حـــيـــرة وشـــــرودِ
أيـامـنـا ســـوف تـمـضـي ... شـقـيـهـا كـالـسـعـيـدِ
مـــــاذا لـــــدي أراه ... مـــن حـيـلـة وجـهـودِ
إن كـنـت قـد ضـقـت ذرعـًا ... مـــن عـيـشـة في الـــوجـــودِ
عـــودي لأهـلـك غَـضْـبَـىٰ ... ولـتُـخـلـقـي مـــن جـديـدِ

إيثار:

قد مضىٰ عام وعام ... من أسىٰ لسنا نفيقْ
ضمنا بيت صغير ... كلما زدنا يضيقْ
وَحْدَنَا لسنا لديه ... همنا فيه عتيقْ
أ فنبقىٰ الدهر حيري ... في أسىٰ هم وضيقْ؟

صفوان:

أي حل في يدينا ... فيه «إيثار» التقينا ؟
ضاقت الدنيا فضاءً ... من غلاءٍ ما علينا
حقبة تمضي وأخرىٰ ... تُسْلِمُ الحل إلينا

نهاد (توسل ورجاء):

كل يوم في شقاق ... فيه آلامًا نلاقي
ذاك يرمينا بعيبٍ ... أو بسوء من خلاق
قد سئمنا بيت شركٍ[1] ... فيه ألوان الشقاق
فإلام الصبر يبقىٰ ... هل إلىٰ يوم التلاق؟
يا أبي ابحث عن مكانٍ ... إن من يبحث يلاق

طارق (ملل):

يا أبي إنا مللنا ... مُكثنا في غير راحة
أيُّ بيتٍ فيه شركٌ ... ضاق آفاقًا وساحة

(١، ٢) شرك: مشترك.

أنـــا عـــن نـفـسـي كـفـاني فـرصـتـي صـــارت مـتـاحـة
أتـــرك الـبـيـت وأمـضـي في فـجـاج لـي مـبـاحـة
لـــو لـنـا قـطـعـة أرضٍ مـا رمـىٰ الـهـمُّ وشـاحـة

صفوان (تحميل للمسئولية):

يـا بـنـي اسـلـك سـبـيـلا يـدفـع الـعـبء الـوبـيـلا
أيـــن نـمـضـي إن رحـلـنـا مَـحِّـص الـــرأي قـلـيـلا ؟
أيـــن أرض نـشـتـريـهـا أو نـــرىٰ فـيـهـا مـقـيـلا ؟
الـغـــلاء اشـتـــد حـتـىٰ صَـبْـرُنَـا في الـبـحـث عـيـلا
مـا لـديـنـا هـل سـيـكـفـي مـا ابـتـغـيـنـاه بـديـلا ؟

إيثار:

لـيـس مـلـكـيـة دار أصـبـحـت عـبـئـًا ثـقـيـلا
حـجـرة تُـبـنـىٰ بـبـيـت وحـدنـا تُـشـفـي الـغـلـيـلا
مـن حـلـي وادخـــاري شِـــدْهُ قـد رمـنـا حـلـولا
لا تـخـف صـفـوان شـيـئـًا وامـــض لـلـبـحـث عـجـولا

نهاد (مشاركة بالعمل بجانب الدرس):

يـا أبـي بـالـعـون حـتـمـًا نـبـلـغ الـقـصـدا الـبـعـيـدا
تـلـك مـاكـيـنـة كـفـي كَـمْ بَـنَـتْ حـلـمـًا سـعـيـدا
أسـهـم الـيـوم بـجـهـدي وَارْعَ مـن مـثـلـي جـهـودا

نجمع القرش على القـ ـرش ونبنيه صعودا
نستغل الوقت سعيا يرفع البيت المشيدا
أدرس العلم وأقضي بعده وقتا مفيدا

عادل:

وأنا أبذل جهدي بيدي أبني البناءْ
أبتغي العطلة ألقىٰ عملا بالخير جاءْ
أنا أكفيك بجهدي في الذي رمنا ابتغاءْ
اشتر الأرض ومنا خذ من السعي وفاءْ
ولكن بيت لدينا نبتغي فيه الهناءْ

عاد (مشاركة بريئة):

وأنا الأصغر سنًا نصف مصروفي خذوهُ
إن تشيدوا منه بيتًا شيدوه شيدوهُ
أبغي بيتًا كبيراً ليتكم لي منشئوهُ

منال (إسهام بجمع المصروف):

كم أنا اليوم سعيدة باقتراحات مفيدة
أنا صُغراكم ولكن لست عن بذل بعيدة
ذاك مصروفي جميعًا من يدي أهدي رصيده
كلنا نسهم جهداً كم نرىٰ داراً مشيدة

صفوان:

يـــا بـــنـــي اشـــتـــد عـــزمـــي وبـــكـــم حـــقـــقـــت حـــلـــمـــي
كـــلـــكـــم راع وكـــل كـــــان ذا عـــــزم أشـــم
هـــكـــذا الـــبـــنـــيـــان يـــعـــلـــو إن يـــقـــم كـــل بـــســـهـــم
إنـــمـــا أيـــــان نـــلـــقـــي هـــــذه الأرض بـــغـــنـــم؟
وهـــــذا الـــمـــال مـــتـــاحٌ جـــوهـــر الأمـــــر الـــمـــهـــم ؟

إيثار (تبرع بحلي):

خـــذ أيـــا صـــفـــوان مـــني حـــلـــيـــتـــي لـــلـــبـــيـــت نـــبـــني
اشـــتـــر الأرض وشـــيـــد بـــيـــتـــًا في أي ركـــن
خـــذ جـــهـــودي خـــذ مـــتـــاعـــي بِـــعْـــهُ يـــا قـــرة عـــيـــني
ضـــع أســـاس الـــصـــرح مـــنـــه لـــيـــس يـــكـــفـــيـــنـــا الـــتـــمـــني
هـــل عـــلـــيـــنـــا أي بـــأسٍ إن حـــمـــلـــنـــا بـــعـــض ديـــن؟

الزائر (يدخل الزائر محمود وهو يَمُتُّ بصلة قربىٰ لصفوان، ترحيب واستقبال):

عـــم ســـلامـــًا يـــا ابـــن خـــالـــي

صفوان:

مـــرحـــبـــًا شـــرفـــت داري

الزائر:

شـــــدني شـــــوق إلـــيـــكـــم قـــلـــت آتـــيـــكـــم أزور

صفوان:

جـئـت في سـاعـة بشر شـرحـت مـنـا الـصـدور

إيثار (تُقبلُ مُحيية في حياء):

يـا تـحـيـاتِ الـسـلامـة مـرحـبـاً

صفوان:

هـاتِـي الـحـشَـايَـا

اصـنـعـي «إيـثـار» شَـايَـا

الزائر:

عـلَّـكُـمْ رُمـتُـم عَـشَـايَ

إيثار:

أنـتَ شـرّفـتَ وآنـسَـت

نهاد (البنت الكبرىٰ):

وأنَّـىٰ الـيـومَ فـرْحَـىٰ

أنـا قـد أعـددتُ شَـايـاً

صفوان:

عَـنْـهَ لا نـضـربُ صفـحَـا

هـاتَ هـذا الـشـايَ وامـضْـي احـضـري عـيـشَـا وملـحَـا

طارق:

إنَّ ذَا يـــــومٌ سـعـيـدٌ شـيَّـدَ الـبُـنـيـانَ صـرْحَـا

الزائر:

أي بُـنـيـان أردتـــم رَفْـعَـهُ نـأتـيـهِ فـتـحَـا؟

صفوان:

نـحـنُ كُـنَّـا نـتـمـارَىٰ في حـديـثٍ رامَ طـرْحَـا

الزائر:

أشـركـوني الـرأيَ فـيـهِ عـلَّـنِـي أُزجـيـهِ نُـصـحَـا

إيثار:

هـو عـن قـطـعـةِ أرضٍ قـد أردنـا نـشـتـريـهـا

طارق:

لـو أتـيـحـت قـطـعـة الأرض فـحـالاً نـبـتـغـيـهـا

الزائر:

قـطـعـة الأرض لـديـنـا

صفوان:

كـمْ أخـي فـكـرتَ فـيـهـا؟

طارق:

أيـــــن يـــا عـــم تـــراهـــا؟

الزائر:

إنـــهـــا جِـــــدُّ قـــريـــبـــةْ

أرض «ســـمـــحـــاء» فـهـيَّـا لـيـس في الأمـــرِ صُـعـوبـةْ

صفوان (فرح ولهفة):

قُـــمْ بـنـا نـذهـب إلـيـهـا

الزائر:

فُـــرصـــةٌ كـانـت عـجـيـبـةْ

جـئـتُ كـي أسـحـبَ حـكـمًـا

صفوان:

فُـــرصـــةٌ حـقًّـا حـبـيـبـةْ

الزائر:

إنـــهـــا قـــد كـلـفـتـنـي سـحـبـه لـو أن أُجـيـبـهْ

في غـــدٍ أســعَـــىٰ إلـيـهِ

صفوان:

لـيـسَ في الـمـقـضِّـي ريـبـة

الزائر:

قُـــمْ بـنـا الـيـومَ نُـسَـافِـر في قـــطـــارِ الـــعـــاشـــرةْ

صفوان:

في صـبـاح الـيـوم نـغـدُو في رِحَـــــابِ الـقـاهـرةْ

نهاد:

قُـــمْ أبـــي سَـــافِـــرْ مـعـه

إيثار:

فـــرصـــةِ فـيـهـا سَـــعَـــةْ

هـــذه الألـــفُ فـخُـذْ مـــا عـســىٰ أن تـضـيـعـهْ

منال:

فَـــــرَجٌ جـــــاءَ لـنـا خَـــابَ مَـــنْ قـد ضـيَّـعَـهْ

نهاد:

بـــســـلام قُـــــمْ مـعـه

إيثار:

لـيـسَ في الـوقـتِ سَـعَـهْ

ستار

المشهد الثاني

في القطار

حوار بين صفوان ومحمود

صفوان (تخوُّف من النزاع):

هـل عـلـىٰ الأرضِ نِـزاعٌ؟

محمود:

لا.. ولا فـيـهـا صِـرَاعْ

صفوان:

ربـمـا جـرَّت نِـزَاعـًا

محمود:

هـيَ مـلـكٌ لا مُـشـاعْ

صفوان:

أكـرهُ الـخُـلْـفَ حـياتِـي لـيـسَ في وقـتـي اتـسَـاعْ

محمود:

سِـتّ «سـمـحَـاء» شرتـهـا حـيـنـمـا كـانـت تُـقـيـمْ

صفوان (تحقق من ملكية الأرض):

مَـــنْ لـهـا قـد بـــاعَ قـبـلا

محمود:

بـاعـهـا الـــزَّوجُ الـكـريـمْ

بـاعـهـا مـنـذُ زمـــانِ ولـهـا حُـكـمٌ رقـيـمْ

صفوان:

ولـمـاذا كـــانَ بـيـعٌ؟ أنـــتَ بـالأمـرِ عـلـيـمُ

محمود:

إنَّـهَـا تـمـلـكُ هـذِي الأرض مِـنْ عـهـدِ قـديـمْ

مـنـذُ سـبـع مـن سـنـيـنِ لـم يُـنـازعـهـا غَـرِيـمْ

صفوان:

أنـــتَ مـسـئـولٌ أمـامِـي إن دخـلـنـا في خِـصَـامْ

محمود (تعهد والتزام):

أنَـــا مـسـئـول وأمـضـي شـاهـدًا فـاسـمـع كـلامِـي

صفوان:

وعـلـىٰ الله اعـتـمـادي

محمود:

ذاكَ مـا يـبـغـي فُـــؤادِي

خـدمـةٌ مـنِّـي لـخـلٍّ هـي رمـــزٌ لـلـوداد

صفوان:

خـائـفٌ أرْمِـي نُـقُـودِي في خَـلاءِ فـوقَ وادٍ

محمود:

هـذه الأرضُ مُـحـال أن يُـرَىٰ فـيـهـا تـعـادِي

هـي مـن بـيـتـكِ أدنَـىٰ دعـكِ مـن قـولِ مُـعـادِ

صفوان:

إنـنـي أخـشـىٰ الـقـضـايـا

محمود:

قـلْ عـلـىٰ اللهِ اعـتـمـادِي

سـوف تـبـنـي الـبـيـتَ فـيـهـا بـالـغـاً كـلّ الـمُـرادِ

يغفو محمود في القطار وصفوان مستيقظ يتحسس جيبه بين الحين والحين

صفوان:

قـد وصـلـنـا قُـم أخـي سـابـقُ الـوقـت الـقِـطـارْ

محمود:

لـم أكـد أدري بـه إذ غـرقـنـا في الـحـوارْ

صفوان:

أنـتَ أغـفـيـتَ فـلـم تـدر كـيـفَ الـوقـتُ سـارْ؟

وأنـا الـغـارقُ في لُـجِّ أفـكـارٍ تُـثـارْ

قـــد مـــضـــىٰ الـــلـــيـــل بـنـا وبـــأجـــفـــانِـــي دُوارْ

محمود:

قـــلـــت لا تـــشـــطـــط ولا تُـــلـــقِ بـــــالاً واعـــتـــبـــارْ

صفوان:

طـــلـــع الـــصُّـــبـــحَ ولـــمْ أبـــغِ إشـــــراقَ الـــنـــهـــارْ
عـــجـــل الـــخـــطـــو فـــمـــا أبـــتـــغـــي طـــول انـــتـــظـــار
نـــبـــتـــغـــي الإفـــطـــار لا بـــ ـــأس ولا تُـــبْـــدِ اعـــتـــذار

محمود:

لا تـــعُـــل هـــمَّـــا لـــنـــا نـــركـــب «الـــبـــاس» لـــدار
أســـــرع الـــســـيـــر فـــقـــد لا نـــرىٰ «الـــمـــترو» اســـتـــدار

يستمر «المترو» ومحمود يرقب محط النزل

محمود:

قـــد وصـــلـــنـــا هـــذه مـــديـــنـــة الأوقـــــاف
ذاك مـــيـــدان هـــنـــا وحـــولـــه ... أَلْـــفَـــافُ

صفوان:

لـــم يـــزل وقـــت بـــنـــا لـــنـــبـــدأ الـــتـــطـــواف

محمود:

ســـر بـــنـــا لـــلـــدار لـــم يـــبـــق وقـــت لـــلـــمـــسـار

صفوان:

إنـــمـــا الـــوقـــت ضـحـىٰ

محمود:

مـــا عـلـيـنـا مـــن حـــذار

هـــــم نـــيـــام إنـــمـــا فـيـه يـقـظـىٰ لـــن نـحـار

صفوان:

قـــد وصـلـنـا الـــدار مـا فـيـه حـجـب أو سـتـار

محمود:

نـحـن مـــا زلـــنـــا أخـــي في حـــوالـــي الـسـابـعـة

نـــطـــرق الـــبـــاب ومـــا مـــن جـــهـــود ضـائـعـة

ذا إمـــــام صـاحـبـي نـظـل حـتـىٰ الـتـاسـعـة

نـشـرب الـــشـــاي مـعـًا تـلـك دار واســعــة

يصلان إلى مدخل الشقة يطرق محمود الباب

***

المشهد الثالث

شـراء الأرض

(نهاري)

المكان:

شقة في الدور الخامس - حجرة جلوس تتوسطها منضدة طويلة حولها كراسي فوتيل - طنف قديم - ستار فاصل بين حجرة الجلوس وباقي الحجرات.

الأشخاص:

محمود - إمام (الطاهي) - بهاء (طالب جامعي) - هيام (أخت بهاء) - صفوان- سيدة الدار.

محمود:

.. يـطـرق طـرقـاتٍ ثـلاثٍ:

إمام:

مـن الـطـارق؟

محمود:

مـحـمـــود

إمام:

مـــن مـعـك؟

محمود:

صـــــفـــــوان

إمام (يفتح مُرحبًا):

يـــا مـــرحَـــىٰ.. أهـــلاً أهـــلاً

صفوان (يرىٰ إمامًا فيعرفه):

أهـــــــلاً يـــــا عـــــم إمـــــام

إمام:

شـــرفـــتـــم.. يـــا مَـــرْحَـــىٰ يـــــا ألـــــــف ســـــــلامٍ

محمود:

قـــل لـــي مـــالـــك ســـاهـــي الـــبـــالِ

صفوان:

أبـــــدًا أبـــــدًا بـــالـــي خـــال

محمود:

لا تستغربْ

صفوان:

لا.. لا.. أبـدًا

محمود:

هــذا بـيـتُـكَ يـا ابــنَ الـخـالِ

إمام (يدخل وعلىٰ يديه صينية):

نــورتــم..

صفوان:

شـكـرًا شـكـرًا

إمام:

شــرفــت وآنــســتَ تـفـضـلْ

الـقـهـوة..

صفوان:

شُــكــرًا لا بـــــأسَ.. ســأفــعــلُ

إمام:

الـــقـــهـــوة.. ســـادة

صفوان:

لا بـــــأسَ زيـــــادةْ

إمام (ينظر إلىٰ صفوان، يقدم علبة الحلوىٰ):

اشــرب مــحــمــود.. حــالاً مـــا رُمـــتَ مُـــرادةْ

خُـذ حـلـوىٰ يـا سـيـد صـفـوان

صفوان:

لا بـــأس وأحـسـنـت وفـــادةْ

بهاء:

يـــدخـــلُ بـــهـــاءُ مـرحـبَـا أهـــــــلاً بـــضـــيـــوفِـــي

صفوان:

أنـــــا جـــد شـــغـــوفٍ!!

محمود (يُعرّفه بالضيف):

الـــســـيـــد صـــفـــوان

بهاء:

لا داعِـــــي لـكـسُـوفٍ

صفوان:

أنـــــا أشـــعـــر بـــســـرور لـــســـتُ بـمـكـسـوفِ

محمود:

الـسـيـد صـفـوان قـد جـاء

بهاء:

مـــــــا يـــبـــغـــي؟

محمود:

قـيـراطًـا مـن أرضِ بـنـاءِ

بهاء:

والـدتِـي مـوجـودة.. أُخبـرهـا

صفوان:

لا بـأس.. وأحـسـن لـو جـاءت

إمام:

سـيـدتـي لـو شِـئْـتَ سَـمَـحَـتْ

صفوان:

أنـا لـسـت غـريـبًـا يـسـعـدني لـو كـانـت تـأتِـي
هـي أُمٌّ.. أو أُخـتٌ كُـبـرىٰ هـي أُخـتـي

سمحاء (تدخل وتسلم):

أهـلاً أهـلاً شـرفـتُـمْ

محمود:

صـفـوان سـيـدتـي!! مـن أهـلـي وصـعـيـدي

سمحاء:

آنـــســـت... ونـــوَّرت وأهـــلاً بـــأقـــارب مـحـمـودٍ

مـــــــا يـــبـــغـــي

صفوان:

قـــيـــراطًـــا مـــن أرضٍ

سمحاء:

طـــلـــبـــكَ مـــوجُـــودٌ

صفوان:

كـــم رُمْـــــتِ نـــقُـــودًا؟

سمحاء:

ألـــفًـــا لا غـــيـــرْ

صفوان (يُعِدُّ الألف):

لا بـــأس أُوافـــقُ آخـــذُ لا ضَـــيـــرْ

سمحاء:

فـلـنـكـتُـب عـقـدًا أكـتـب إن شـئـت الـعـقـدَا

صفوان (يكتبها ويناول السيدة بعد برهة):

أكـــتُـــبْ لـلـعـقـدِ الـصـورة

سمحاء:

لـبـهـاء.. لأُرسـلـهـا لـهُـيَـامُ

هيام:

هـــاتـــيـــكَ أيَـــــا مـــامَـــا

صفوان:

يـــــقـــــرأُ الـــعـــقـــدَ

سمحاء:

خُـــــذْهُ يـــا سـيـدُ صـفـوانُ

أرأيـــــــــــتَ تـــمـــامـــًا

صفوان:

لا بـــــــأسَ.. تـــمـــامـــًا

سمحاء:

بـــــــــــردًا وســـــــــلامْ

صفوان:

مَـــــــــنْ يـــشـــهـــدُ؟

سمحاء:

يـشـهـدُ مـحـمـودٌ وإمـــامٌ وهـيـامْ

صفوان:

يـــــقـــــرأ ويـــــوقـــــع

سمحاء:

مـــــــــــبـــــــــــروكْ

ستار

***

الفصل الثاني

بناء البيت ـ صراع بين صفوان وعرفان

المشهد الأول

بناء البيت

(نهاري)

عمال - خامات بناء - رمل - طوب - أسمنت - أساس

أشخاصه:

عتريس - أبو الليل - متياس - عياش - عموش - عمران - رمضان - عاطي - حواز - حويل.

أبو الليل (مشرف عمال):

احـــفـــرْ.. احـــفـــرْ يـــا عـــتـــريـــسْ

عتريس (حفار أساسات):

مـــاشـــي مـــاشـــي يـــا عـــيَّـــاشْ

متياس:

هـــاتِ الـــرمـــلَ وهـــاتِ الـطـوب اســحــب اســحــبْ بــالأونــاشْ

رمضان: (خمَّار مونه):[1]

هـــاتِ الـــمـــاءَ أيَـــا عـــمُّـــوشْ

أبو الليل:

خَـــمِّـــرْ مُـــونـــه يـــا رمـــضـــان

متياس:

هـــات الـــطـــوب أيـــا عـــمـــرانْ

أبو الليل:

مـــــوِّنْ.. مَـــــوِّنْ يـــا عـــمُّـــوشْ

متياس:

ارفـــــعْ قـــالـــبْ يـــا شـــاويـــشْ

شاويش (حامل ماء):

بِـــلْ الـــطُّـــوبَ.. أيـــا مـحـبـوبْ ارفـــــعْ ارفـــــعْ قـــالـــبْ طُـــوبْ

متياس:

هـــاتِ الـــمُـــونـــة يـــا رمـــضـــانْ هـــاتِ قـــوالـــبِ.. يـــا عـــمـــرانْ

عياش:

امـــــــلأ بـــالـــزمـــبـــيـــل امـــــلأ امـــــلأ بـــالـــبـــرمـــيـــلْ

(١) المونة: خليط مواد البناء الأسمنتية مع الرمل، خمَّار: العامل القائم على تجهيزها.

متياس:

هـاتِ الـمُـونـةَ يـا أبـا الـلـيـلِ احـفـر احـفـر يـا شـاويـشْ
امـلأ بـالـزمـبـيـل[١] قـوالـبْ رُبِّ[٢] الـرمـلـةَ بـالـطـالُـوشْ[٣]

أبو الليل:

حـول طُـوبْ.. امـلأ كُـوبـًا يـا عـمـوش.. هـاتِ الـشـايْ

عاطي:

لا.. لا داعِـي.. خـلـيـكْ واعـي يـا مُـاكَـنّـا
نـقُـول كـمـانْ.. بـركـة بـركـة يـا جـدعـانْ

متياس:

امـشـي ونـاول يـبـنـي الـحـائـط هـاتِ نـاول قُـمْ يـا بـاسـطْ
نـبـنـي الـصَّـبَّـة مُـونـةً هـيـا يـا رمـ ـضـان أسـرع أسـرع يـا عـيـاشْ

طارق (في فرحة):

نـحـن بـنـيـنـا نـصـفَ الـبـيـت شَـهّـلْ شَـهّـلْ أنـتَ نـويـتْ
عـمُ مـتـيـاس أنـتَ بـنـيـتَ وِمْـتَـىٰ نـصُـبُّ سُـقُـوفِ البيت؟

عاطي:

قَـوَّىٰ اللهُ عـزيـمـة نـاس شـد عـزايـمـك يـا مـتـيـاسْ

---

(١) الزمبيل: وعاء لحمل قوالب طوب البناء.
(٢) رُبِّ الرملة: اخلط الرمال بالأسمنت.
(٣) الطالوش: قطعة من الخشب تُستخدم في حمل الأسمنت لتبطين الحوائط.

ريدي (في سخرية):

ابـــنِ وَعَـــمَّـــرِ يـــا مـتـيـاسْ وأنـــتَ وكـيـفـكَ يـا مـــرداشْ
يـــا عـتـريـس قَـــوِّ أســـاسْ مهما حـفـرتِ فـسـوفَ تُـقـاسِـي

عروة:

مَـــــــنْ ذا يـــبـــنـــي؟

متياس:

إن الـبـانِـي هـــو صـفـوانْ

حويل:

إنَّـــكَ تـبـنـي يـــا صـفـوانْ بـيـتـكَ بـــاتَ عـلـىٰ بُـركـانْ
أرضْ الـغـيـرِ بـغـيـر أمـــانْ لـيـسَ يُـفـيـدكَ أيُّ ضـمـانْ

صفوان:

هـذِي الأرضِ لـمـنْ؟ ولـمـنْ؟

حويل:

أرض أبـــي سـيـدي عـرفـان

صفوان (في تساؤل):

مَـــــــنْ عِـــــرفَـــــان؟

حواز:

صـاحـبُ تـلـكَ الأرضِ الآنْ

أبو الليل:

ابـــــنِ.. ابـــــنِ يـــا مـتـيـاسْ دعـــكَ وخـــلّ كـــلام الـنَّـاسْ

صفوان:

إنَّـــا نـبـنـي أرضًـــا نـمـلـك

حواز (يجمع أخبار):

ابـــنِ وابـــنِ وحـــوِّط حـولـكْ
وغـــداً تـنـنـدمُ يـا أبـا الـلـيـلِ

حويل (في تهديد يغني):

دعـــهُ يـبـنـي كـيـفَ يـشـاءْ وغـــداً يـخـسـرُ كـل بـنـاء
يـــا رمـــضـــان إجـــرِ وأســـرع هـــاتِ الـمـاءْ

عياش (ويعمل حركة في اعتزاز):

يـا شـاويـش حـــوِّلْ طُـوبْ يـا عـتـريـس امـلأ الـكُـوبْ

عموش:

نـحـن بـنـيـنـا بـيـتَ الـعـيـلـة نـحـن سـنـمـضـي فـيـه الـلـيـلـةْ

عسران (محضر إنذارات من المحكمة):

أيـــنَ الـــبَـــانِـــي؟

صفوان:

مـــاذا تـبـغِـيَ يـا عَـــسْـــرَانْ؟

عسران:

ذا إنـــــــــــذارٌ مِـــــنْ عِـــرْفَـــانْ

ستار

المشهد الثاني

تفكـير وتدبـير

(ليلي)

في قصر عرفان سهرة تجمع رواد قصره خدماً وأعواناً

أشخاصه:

عرفان - فرجان - حواز - حويل - عروة - ريدي - باهر - نادر - روبي - عسران.

عرفان:

هل يجهلُ أحدٌ منكم ما كان عليه المرحومُ أبي؟
أَوَلَـيْـسَ السيد للقريةِ والحاكمُ في أمـرِ الناسْ؟

فرجان (يضحك في غير مناسبة ويقدم قهوة):

أبداً يا سيدي عرفان .. أنا طاهي الأسرة مذ كنت صغيراً .. احضرني .. وربـاني.. والدكم يرحمه الله.. أنا محسوب الأسرة .. اشرب يا سيدي القهوة بالصحة .. اشرب يا عم (حويل) .. اشرب أنت (وحواز) وتفضل يا سيد (عسران).. مطرح ما يسري يمري.

حويل:

من ينكر هذا ؟ والدكم يرحمه الله قد كان السيد في تلك القرية .. مسموع الكلمة ولديه مقاليد الأمر من حيث السطوة والقوة .. وعلو الجاه من منا يومـًا ينساه .. أو لست خليفته .. في الأرض وفي الحول وفي الطول ؟

باهر:

أعرفه قد كنت محاميه في كل قضاياه قد كان المتصرف في القرية بالرأي وبالكلمة وجميع الناس بقريته قد كانوا طلاب عطاياه معظمهم قد كانوا خدمـًا في عزبة .. أو كانوا عبدانا للأرض وللبيت وجميع أولي الأمر ذوو السلطة قد كانوا خاتم إصبعه اليسرىٰ.

نادر:

الأرض بناحية القرية يملك أجودها.. ميراثـًا عن جدك يرحمه الله مع أرض أخرىٰ خلفها من يده ومن جهده.

ريدي:

مضبوط من ينكر عظمة سيدنا المرحوم أبيكم قد كان المتصرف والحاكم بأمور القرية في أحد الأيام قد صنع وليمة تكفي سكان المركز وقراه وبيوم من ذات الأيام قد فرش الرمل بأشجار من ثمر ناضج واستقبل وفد السياح ضيوف أفندينا في هذا القصر.

حواز (ناقل الأخبار):

سيدي عرفان بالأمس رأيت فلانـًا وفلانـًا فلانـًا يبنون بأرضك في دائر ناحية القرية بجوار الطاحونة هل بعت لهم تلك الأرض؟

عرفان:

ماذا يا ناقل أخبار القرية ! (حواز) اخبرني بالحق ولا تنكر شيئًا لا تنسىٰ تجمع لي الأسماء.. وراقب كل الأعمال وكل الكلمات وَعِدَّ الأنفاس عن كل الناس.

حواز:

طبعًا سيدي عرفان.. شاهدت بعيني أناسًا يُلقون أساسًا.. يبنون علىٰ أرضك قد نقلوا طوبًا ورمالاً وحديداً مع بعض الأسمنت وزلط مع جير مطفأ وحجارة ورأيت أساسات محفورة في أرض يغصبها صفوان ورأيت رجالاً تنقل أحجاراً وهنالك بَنَّاءٌ يدعىٰ متياس يبني في منزل صفوان.

عرفان:

أَوَ حقٌ هذا ؟ (حواز) لا تكذب اخبرني بجلي الأمر واذهب كي تعرف كل الأشخاص وترصد كل الحركات واخبرني في أقرب فرصة.

معتوق (راوي من خلف):

يتنمر عرفان من حوله.. لا أحد أمامي يتنفس.
يستطلع رأي محاميه.. ومحام آخر يجلس في السهرة من أهل الخبرة في القانون.. وكل قضايا مدنية.

عرفان:

ما العمل لوقف تعدي الأشخاص المغتصبين.. وَمَنْ شرعوا يبنون علىٰ أرضي بالقوة.. أو طمعًا يبنون؟

باهر:

يمكن أن نرفع دعوىٰ ضد الأشخاص.. نرسل إنذاراً لجميع المتعدين علىٰ الأرض علىٰ يد محضر.. أو نرفع أمراً بعريضة أو نطلب إثبات الحالة. ولنذكر فيها الأسباب وما نبغي من طلبات مع شكوىٰ في قسم الشرطة وأمام نيابة محكمة الإقليم.. ونحذرهم من أي تعدٍ محتمل أو قائم.

عرفان:

فكرة !! لا بأس بها سننفذها في الحال حالاً (حواز) اخبرني بجميع الأشخاص وأنت أيا (عروة) روجها في الناس.

حواز (في لهفة):

حالاً يا سيدي عرفان.. آتيك بكل المطلوب.

يذهب حواز ويباشر ما كُلف بأدائه ويعود عرفان لحديثه

يرجع حواز..

حواز:

سيدي عرفان.. أنا شفت فلانًا وفلانًا عمال (صفوان) من ينقل خامات بناء.. وارتفع البنيان علىٰ وجه الأرض قرابة مترين وأكثر ومباني أخرىٰ قد جدت من حوله لفلان وفلان وفلان.

عرفان (يستطلع آراء محاميه):

ما رأي القانون يا سيد نادر.. ؟

نادر (في هيئة واثق بالنفس):

لا بأس.. ولا خوف.. دعهم يبنون وأطمع من يبني.. أطمعه وأرسل إنذارا يأتيه علىٰ غير القطعة موضوع الإنذار.. ولدينا (عسران).. يمكنه إتمام المطلوب.. ويرد الإنذار أنا أبني في غير القطعة.

عسران (في خبث ظاهر):

طلباتك يا سيد عرفان كل المطلوب عندي موجود في الحال.

عرفان (يعود للحديث مع نادر في تطلع):

أكمل يا سيد نادر.

نادر:

وأخيراً نرسل إنذار عن نفس القطعة فيه تحذير ونذير ونطالب بإزالة ما تم بناؤه.. ونبين سوء نواياه.. ونلزمه بتسليم الأرض خالية من أي بناء مع إلزام المتعدي بمصاريف الدعوىٰ وبتعويضٍ عادل لمقابل الأرض ورفع الأنقاض.

عرفان (في إعجاب بالفكرة):

هذا مضبوط. فكرة هائلة مدروسة لا يمكن يفلت منها.. مهما قد كان في يده القانون.. حالاً يُرْسَلُ إنذارٌ... وتُجس الأخبار. ولتُجمع معلومات.. ولترفع شكوىٰ في قسم الشرطة ويحذر (صفوان) من سوء تعديه علىٰ الأرض.

باهر:

وهنالك فكرة.. أخرىٰ تنفعنا..

عرفان:

ما هي يا سيد باهر ؟

باهر (يعرض فكرته):

في يدنا حكمٌ.. فرز بنصيب قد أخذ علىٰ بعض الورثة في نفس القطعة.. منهم (سمحاء).. ولدينا تقريرٌ لخبير بالقطعة موضوع الإنذار والشكوىٰ والدعوىٰ المرفوعة في داير الإقليم.

عرفان (في تخوف وحذر):

يوجد شركاء ورثة في نفس القطعة. من نفس الأسرة هم زوجة عم وبقية أبناء العم المتوفىٰ من قبل.. ولديهم حكمٌ مأخوذ بنفاذ البيع علىٰ العم.. لا أدري ماذا سيكون ؟ قد ندخل بمتاهات.. ونعود كما كنا لا نملك حلاً.

باهر:

هل سجل أفراد الورثة هذا الإثبات من قبل الدعوىٰ المرفوعة منا ؟

عرفان:

هو صحة إثبات ونفاذ لم يسبق تسجيله.. ما زال.

باهر (في عدم مبالاة):

لا يجدي شيئًا هذا الإثبات ولا يسوي الحبر المكتوب عليه.

نادر:

نرفع دعوىٰ ضد الملاك المتوفىٰ والدهم.. مع دعوىٰ أخرىٰ ضد الملاك البانين علىٰ الأرض كي توقف ما بني عليها.

باهر (يرسم في الفكرة ويشير إلىٰ السيد/ عرفان):

نحن كسبنا حكمًا ضد الورثة.. فرز بنصيب يمكن أن نأخذه كأساس يكسبنا الجولة ضد الخصم المتعدي (صفوان). ونحاول إثباتًا لسوء نواياه بثًا للرعب بباقي الأشخاص وهز الأعصاب.

عرفان (في حيطة):

قد يُستأنف هذا الحكم إذا عرف الورثة. أو تبرز أوراق ضده.. ضد التجنيب.. وقد تدخل بمتاهة أخرىٰ لا ندري عُقباها.

باهر:

يمكننا استدراج الخصم.. أو كسب محاميه إلينا.

نادر:

وبأي وسيلة نفعلها.

باهر (ويشير إلىٰ عسران):

بالحيلة.. بمقابل أتعاب مجزية تغريه بترك دعواه المرفوعة.. وبغضِّ الطرف وسحب المستندات المنتجة بدعواه إن لزم الأمر.

عسران (يتكفل بالأمر):

هذا ميسور.. أمر نملكه في يدنا.. يا سيد عرفان.

عرفان:

يا لك من فَطِنٍ بارع.. هذا والله هو العمل التكتيكي المدروس.

باهر:

لا تشغل بالك يا سيد عرفان.. واعتبر الأحكام بجيبك.. لا عُلْتَ الهم.. أَوَ ليس كذلك يا سيد عسران ؟

عسران:

طلباتك أنا طوع الخدمة.. السيد عرفان نخدمه بأعيننا..

نادر:

أنا عندي فكرة يا سيد عرفان..

عرفان:

ما هي ؟ أخبرنا..

نادر:

صفوان. هو رافع دعوىٰ.. صحة إثبات ونفاذ.. أعرفها وكلني فيها.

باهر (يستحسن الفكرة):

لا بأس يا سيد (نادر).. فلندخل طرفا مختصما ضد الخصمين وبذلك نوقف مفعول الحكم إذا كان ونبطل دعواه بتثبيت الملكية من بعد..

عرفان:

ما أعظم هذا من فِكَرٍ.. تنفعنا.. نفذها يا سيد (نادر).. وتعاون معه يا سيد (باهر).. لا شك بأنكما سنداي.. جنحاي يكل قضاياي.

باهر:

نترك للخصم الفرصة كي يأخذ حكما بنفاذ البيع مع أن البائع للخصم لم يسبق أن سجل أحكامًا من قبل.

نادر:

وبذلك يمكننا استنزاف قواه المالية... وأخيراً نرفع دعوىٰ تثبت الملكية.. في نفس الوقت مع الدعوىٰ المستأنف فيها الحكم السابق من أول درجة.. أو حتىٰ الاستئناف إن كسب الحكم بأول درجة.

حواز:

وأخيراً يمكننا ترويج إشاعة عن كسب الأحكام. بتنفيذ الهدم.. وبهذا نضرب عصفورين بحجر واحد.

نادر:

تنفيذ الأحكام. وترويع الملاك الجدد الشارين بنفس القطعة.

عسران:

ونقوم بتنفيذ جميع الأحكام المشمولة بنفاذ الهدم لأكبر بيت مبني في تلك القطعة.

باهر:

ونركز فيه علىٰ طلب إزالة ما تم بناؤه.

عرفان:

لا بأس.. ينفذ ما اتفق عليه.

معتوق (الراوي خلف ستار):

وتتم المأساة.. ويكون ضحيتها بيت الممكُور عليه. (صفوان). أو مظلوم من بعد....

ستار

* * *

المشهد الثالث

يا ويلك من غضب اللّه

فاصل موسيقي (صوت الضمير)

مـظـلـوم يـرفـع دعـواه الـعـالـم يـسـمـع نـجـواه
يـا ويـلـك مـن غـضـب الله يـا لـيـتـك يـومـاً تـخـشـاه

مـظـلـوم يـرفـع دعـواه
يـا ويـلـك مـن غـضـب الله

الـظـلـم نـهـايـتـه الـنـدم كـم زَلَّ لـصـاحـبـه قـدم؟
أشـرار الـعـالـم لـو عـلـمـوا مـا كـانـوا جـاروا أو ظـلـمـوا

مـظـلـوم يـرفـع دعـواه
يـا ويـلـك مـن غـضـب الله

إن تـخـش الله أيـا ظـالـم لـم تـغـش مـع الـظـلـم مـحـاكـم
عُـقـبـاهـا هَـمٌّ وجـرائـم والـظـالـم بـالـخـيـبـة غـارم

مـظـلـوم يـرفـع دعـواه
يـا ويـلـك مـن غـضـب الله

* * *

الفصل الثالث

محاكمة بيت..
وحكم إزالة

هذا الفصل في المسرحية هو الفصل الثالث من المسرحية وفق النسخة المكتوبة علىٰ الكمبيوتر والمراجعة من الشاعر، والتي قام بتشكيلها بخط يده - لكن السياق القانوني يقتضي وضعه الفصل الأخير - في قصة إعدام البيت - وهو أمر لا يُخل بالمضمون الواقعي الذي عشتُ أحداثه علىٰ الطبيعة.

عماد عبد المجيد

فـي قاعـة المحكمة

نهاري

في قاعة المحكمة - قاضي تنفيذ - محامون - صابر - نادر - باهر - مظلوم (صفوان) عرفان - معتوق - الحاجب (حرحور) وأناس من كل مكان - مبروك.

القاضي:

ما خطبك يا هذا؟ ما اسمك؟ما هو موضوع الأشكال..ألديك محاميك؟

مظلوم:

بيتي محكوم بالإعدام عليه... منتظر تنفيذ الحكم أتعشم في الله الخير. محاميَّ هو الله موجود.

معتوق (الضمير الإنساني):

لولا تتداركه الرحمة أو يهبط للأرض ملك أو يأتي عفو من رب ويوفق أنصار الحق.

صابر:

أنا حاضر عن مظلوم رافع إشكال إيقاف التنفيذ.

القاضي (ينظر إلىٰ مظلوم):

ماذا يبغي مظلوم؟
أين المستندات؟

صابر:

ها هي ذي سيدي القاضي؟

القاضي:

ماذا يطلب عرفان؟ أين محاميه؟

نادر:

هاأنذا موجود.. طلباتي تنفيذ الهدم ولدينا الحكم المشمول بنفاذ عاجل.

باهر:

هذا المظلوم.. باني في أرض الغير.. في أرض موكلنا عرفان بالغصب وبالقوة.

القاضي:

أَوَ حق هذا يا مظلوم؟ ما قولك في هذا؟

صابر:

المحكوم لصالحه حاصل علىٰ حكم بإزالة بيت موكلي المظلوم الساكن فيه وبانيه من عرق جبين.

القاضي:

ألديك المستندات؟

صابر:

ها هي ذي المستندات عقد بالبيع العرفي حكم بنفاذ صحة إثبات لسنا مغتصبي أرض.. لسنا بانين عليها بالقوة.. بائعة الأرض هي زوجة عم المحكوم لصالحه.. هي إحدىٰ الورثة والأرض مشاع أطلب إيقاف الهدم حتىٰ إثبات الحالة ودفع التعويض اللازم.

نادر:

هذا مغتصب للأرض وأقام عليها بنيانًا من أول طابق هو سيء نية.. أطلب تنفيذ الحكم بإزالة ما تم بناؤه.

صابر (محامي مظلوم):

متمسك لازلت بإيقاف التنفيذ. البائع هو أحد الورثة وقريب المحكوم لصالحه بالأرض.. لم لا تتدخل بائعة الأرض.. أَوَ ليست ملزمة بالأرض وبالبيت؟ أخشىٰ لو تم تواطؤ.. يودي بحقوق موكلي المظلوم؟

القاضي:

هذي طلبات ليست موضوعًا لنقاش.. والدعوىٰ إشكال شكلي لا موضوعي.. ما تطلب؟

صابر:

أطلب إيقاف التنفيذ.. أطلب إبقاء المنزل حتىٰ إثبات الحالة.. أو ترغم بائعة الأرض بتعويض عادل أو طلب بنيان المثل قبيل التنفيذ.

باهر (محامي عرفان):

لا وقف لحكم مشمول بنفاذ عاجل.. ومحامي الخصم الطالب إيقاف التنفيذ.. هو يبغي فيه مماطلة كسباً للوقت.. وفي هذا تعطيل للحكم.. وتعليق للحق بلا داعي.

القاضي:

ما قول محامي مظلوم؟

صابر:

تنفيذ الحكم يشكل أجحافاً وضياعاً لحقوق.. لم تثبت حالتها.. مع شدة حاجتنا لبقاء المبنىٰ سكناً يؤوينا أقصد مظلوماً.. أين سيذهب أولاده؟ أَوَ ليست أزمة إسكان؟ بيت قد بُني بقطرات العرق وبالدمع أَ يُزَلْ؟

القاضي:

لا يعني.. إن كان المنزل يؤويه أو كانت أزمة إسكان حكم بإزالة.. ما جدوىٰ إثبات الحالة؟

صابر:

إثبات الحالة جوهرة الموضوع.

القاضي:

كلا.. حكم بإزالة وينفذ في الحال..

عرفان:

حكم هو حقي لن أنزل عنه ولو جاءوا بالدنيا أجمعها.

مظلوم:

حقي مهضوم أنا كلي مظلوم الرحمة إن وجب القانون.

حرحور (حاجب محكمة التنفيذ):

اسكت يا هذا.. اخرج من قاعة محكمة لا داعي للجلبة.. اخرج.. يا هذا.. واصمت.. اتركنا لقضايا أخرىٰ.

مظلوم:

بيتي.. أَوَ يُهدم بيتي.. أَ يُشرد وُلدي؟ أَوَ يُلقىٰ في الشارع عرضي؟ وحياتي يجرفها البلدوزر؟ مالي وديوني في هذا البيت.

حرحور:

يا هذا اتركنا نكمل أعمالنا.. واخرج من غير مطرود.

مظلوم:

هل عاد الإقطاع كما كان يعربد في الماضي؟ سيدي القاضي هل عاد (فومنشو الجبار) يستعرض عضلات القوة؟ كي يرفع جبلاً من أرض.. أو ينقل باخرة من بحر أو يقنص طائر من جو.. أو يسقط نجمًا من فوق أو ينزل من برج عال كي يشطر فم أسد الغابة.

عرفان:

فومنشو الجبار إذا قال يطاع، الكلمة من فمه أمر واللفتة من عين تحذير والهمسة من شفةٍ إنذار قد ينذر بوقوع الكارثة الكبرىٰ.

حرحور:

الحكم هو الحكم.. الحكم هو الحكم.. إزالة.. تنفيذ إزالة.. لا داعي.. لا ثم محالة.

معتوق (صوت ضمير):

أَوَ تُرمىٰ أسر في الشارع؟ أَيُهد البيت علىٰ رأس ذويه أَيُشرد أطفال برءاء بؤساء لا ظلم ولا جرم؟

عرفان:

أنا أبغي أرضي... خالية من أي بناء... ولا رد لحكم وقضاء.

مظلوم:

بيتي.. مظلوم.. حقي مهضوم .. يا للمأساة !! هل عاد الجلاد بمأساة الحلاج وفي يده سيف؟

أم ظهر الحجاج علىٰ منبر تهديد يضرب في حَيْفٍ؟ أَيـرُوع أمن الناس البسطاء بلا قلب أو رحمة؟

ليرد لعصمته الأرض؟ عرفان.. منك إلىٰ الله.

معتوق (صوت ضمير):

أَوَ تُهدم دور وصوامع.. أتُزال بيوت وجوامع؟
أو هذا يرضي القانون؟ والظالم في يده الحل؟

مظلوم:

شكواي إلىٰ الله.. هو عالم حالي.. وأفوض أمري لا أدري ما أفعل؟ ولا مال ولا بيت ولا جاه.. منك لله

حرحور:

لا تفعل شيئًا.. لا داعي.. لا تتعب نفسك.
حكم بإزالة.. ما جدوىٰ إثبات الحالة؟

مظلوم:

أَوَ تترك بائعة الأرض فلا حكم ولا غُرم ولا جُرم؟

القاضي:

يكفينا تضييعًا للوقت - ارفع دعواك عليها إن كان لك الحق.. إثباتًا للحالة أو طلب التعويض.

مظلوم:

من ينصت لضحايا الظلم المتقنع باسم القانون؟
أتباع صكوك الغفران في أرض الجنة من غير رصيد.

صوت من خلف ستار (يستنكر ظلم الإنسان لأخيه الإنسان):

لكان العالم في غابة.
الغابة لفعها الليل بجلباب الظلمة.
من يمسك بزمام القاتل؟ من يقطع يد هذا السارق؟

قائل يستنكر:

لا تستغرب يا هذا لما يحدث.. بل أكثر من هذا قد يحدث في أي مكان.. في أي زمان.. من أرض الواقع هذا مثل مشهور.. الماء لا يركب في العالي.. الطوبة لا تلطم حجراً.. فاستسلم أفضل.

مستنكر آخر:

هذا ما يفعله الشرفاء النبلاء أعيان الناس المشهورين وبقايا أسر الطغيان ومن أقصىٰ الماضي.. الأرض ملك لكبير الأرض وسواه يشرب من ماء البحر.

مظلوم:

أَوَ يحدث هذا في ظل القانون؟ أين هو العدل؟

عرفان:

موجود.. في يد من ملك الحق.. وفي يده المستندات.

معتوق:

اسكت.. اسكت يا مظلوم.. عوضك عند الله.
القصة معروفة.. أحد الشرفاء النبلاء.. يحتال علىٰ بعض البسطاء ويبيع

لهم صكًا من نسل صكوك الغفران يتمثل في قطعة أرض في دائر ناحية القرية.. جنب الطاحونة.. يتقاضي ثمنًا للأرض جنيهات ألفًا وتزيد الألف ثلاثة أضعاف من جشع المالك للأرض.

بدران (أحد الملاك المشترين):

من قوت الأطفال الجوعىٰ.. من كوب اللبن الممنوع علىٰ طفل غض مصروع.. وسواه في الأرض كثير.

أحلام (ابنة أحد المشترين):

من دمع الساعات السود المسفوحة من عيني عذراء تَنْكَبُّ علىٰ متن الماكينة ليلاً ونهاراً.. كي تجمع من مزق الأثواب المرتزقة.. أجراً.. وبشق الأنفس... لتعين ذويها.

مرجانة (أرملة عجوز):

من جهد الأرملة الساعية لقوت الأطفال المحرومين حنان الأب والتارك إمرتهم في عنق الأم بلا زوج وعجوز مدت ساقيها من مرض مزمن.. يمتد كمثل السرطان في كل الجسم.. الألم يمزق رئتيها.. لا تملك ثمنًا للكشف ولا ثمنًا لدواء تغرورق عيناها بالدمع تستذرف قطرات الرحمة.

حماد (بائع متجول):

من عرق المأجور الكادح جَوَّابَّ الآفاق يقاسي آلام الغربة في بلد نَاءٍ قد ظل به حينا من دهر.

معتوق:

ورماه القدر المشئوم.. وعاد يحمل مجهود سني عمرٍ قد باد.

مظلوم:

بسلامة نيه كسواه ذهب لبائعة الأرض وكذلك ذهب الشارون المخدعون يبنون بيوتًا تؤويهم شادوها مثلي.
من قوت الطفل المفطوم قبيل شهور فطامه.
من عرق المأجور الكادح.
من دمع الكادحة العذراء.
من جهد الأرملة المسكينة.

برهام (شيخ عجوز أقعده المرض):

من كدح الشيخ المهزول.. المطحول المسعول يفترش الغبراء بكوخ من بوص لا سقف عليه.. يصفعه البرد ويُصليه الحر.. يمسك مغزله[1].. يقضي الساعات بلا أكل.. حتىٰ تأتيه عجوز برغيف من غير إدام يأكله ويسبح مولاه حمداً يارب.

معتوق (راوي يروي ما فات من قبل حكم الإزالة):

ويفاجأ ذاك المسكين «مظلوم» بإنذار مشئوم فحواه.

إنذار يحمله عسران:

لا ترفع أي جدار مغتصب بالقوة أنت وبانٍ في ملك الغير.. ارفع يدك عن الأرض.. واحمل لبنات بنائك ثانية من أرضي.. مَنْ أَذِنَ لمثلك أن تبني؟

(١) مغزل: أداة خشبية يدوية لتحويل الصوف إلىٰ خيوط للنسخ.

فلتكفف عن أي بناء.. أو تحمل تبعات تعديك.. وتسوىٰ دارك بالأرض..
(باهـر، محامـي عرفـان، توقيـع)

عرفان:

هي أرضي آلت لي عن جدي لأبي.. وأنا بطريق الميراث.

معتوق:

يستعدي عرفان أولىٰ الأمر بشكوىٰ في قسم الشرطة تتبعها دعوىٰ تنظر في محكمة الإقليم.. ويقاد الشاري المسكين « مظلوم « وسواه إلىٰ قسم الشرطة يُجرىٰ معه التحقيق.. يدلي هو بالأقوال.

مبروك (مسئول الشرطة المحقق):

ما اسمك ؟ يا هذا؟

مظلوم:

صفوان.. أو أن شئت فمظلوم.

مبروك:

هل أنت تعديت علىٰ أرض السيد (عرفان) وبنيت بلا حق.

مظلوم:

أبداً أنا عندي عقد شراء الأرض.. ابني في ملكي لست بمغتصب وإليك العقد وعليه توقيع البائع.

مبروك:

يقرأ عقد البيع.. الثمن المدفوع ألف من عام ثمانين يمهره مبروك بتوقيع نظرناه ويعاد لمظلوم.

معتوق (يستكمل قصة مظلوم وحكاية ظُلم):

وتسير القصة سيرتها الأولىٰ كعصىٰ موسىٰ يخرجها عند دخول مباراة مع سحرة مصر ويفاجأ بالدعوىٰ المرفوعة..بالإفك عليه. والبائع في غسق النوم وتقرر محكمة الإقليم.. يُندب للأمر خبير.

القاضي:

يندب للأمر خبير.

معتوق:

ويجيء التقرير علىٰ عكس الواقع ضد من ابتاع الأرض وتسير الدعوىٰ.

المحكمة:

إثبات للحالة.. تأجيل لتمام الأوراق.. وأخيراً حكم بنفاذ.. حكم بإزالة.. ما تم بناؤه.

معتوق:

ويفاجأ خاسرها بصدور الحكم وختامًا حكم بإزالة.

مظلوم:

اسْتَأْنِفْ.. اسْتَشْكِلْ.. أسعىٰ للصلح.. أرفع دعواي وشكواي لأعلىٰ المستويات.. ولا جدوىٰ من أية أعمال.

محكمة الإقليم:

لا بد من الأمر الواقع.

هدم... تنفيذ... إعدام للبيت المرفوع علىٰ أرض الغير ويهد علىٰ رأس ذويه.. وبالقوة إن لزم الأمر.

التنفيذ (يتقدم قائد قوات الأمن):

عمال الهدم.. تتقدم.. بلدوزر.. حطم.. اهدم.. أخرج من في البيت.. اقذف ما فيه في الشارع هيا.. لم يبق لدينا من وقت وتتم المأساة.

أطفال تبكي:

طفل.. وفتاة.. ولد أكبر.. ولد أوسط.. وفتاة صغرىٰ أم تقض أنياب الخيبة.. أسرة مظلوم.. ناس من كل مكان.. متشفي يشمت في الأسرة.. يلقي بعض عبارات مغموزة.. فيها سخرية مُرَّة.

مظلوم:

بيتي هدموه.. ومتاعي في الشارع قذفوه إلىٰ أين أسير؟ لا بيت.. ولا مال.. لا أهل ولا حيلة منكم لله.

ستار

* * *

الفصل الرابع

حكم بإزالة

المشهد الأول

حوار في مقهى في شارع وسط البلد

أشخاصه:

حواز - عروة - جارح - ريدي - فرحان - كحلاوي.

الحوار: تهامس حول منزل صفوان، وتنفيذ الحكم.

عروة:

أعـلـمـتـم مـا حـــدث الأمـــسِ

حواز:

مـــــاذا يـــا عـــروة؟

عروة:

السيد عـرفـان كـسـب الأحـكـام

ريدي:

وغـــداً أو بعد غـد يـأتـي التنفيذ

جارح:

تنفيذ؟

ريدي:

إي واللـــهِ تنفيذٌ

وخــلال ثلاثة أيام

عروة:

السيد عرفان أخــذ الأحــكــام وبالـهـدم

فرجان:

أو لـم يكسبَ صفوان الحكم بـــإيـــقـــاف إزالـــــــةً؟

حواز:

لا يـمـكـن سـيـدي عـرفـان يـتـركـه يـنـامُ عـلـىٰ حـالـهْ

ريدي:

أنـا كـنـت الأمـس لـدىٰ السهرة وسـمـعـت الـقـصـة حـكـمٌ بـإزالـةْ

جارح:

عـــرفـــانٌ رجـــل يـقـظـان

حواز:

هـو يـعـرف كيف يـؤدب صفوانا

فرجان:

صـــفـــوانٌ رجـــلٌ غـلـطـانٌ

ريدي:

يـمـكـنـه يـسـتـسـمـح عـرفـانًـا ويـبـيـع لـه الأرض بسبعة آلاف

عروة:

مـــن مـــــدة يـــومـــيـــن قـابـلـنـي صـفـوان

حواز:

هـــــو خـــاف

قـــــد تـــــــرك الـــبـــيـــت

فرجان:

عـــزَّل أمـتـعـتـهْ

جارح:

حـــواز شـــافْ

عروة:

صـــفـــوان لا يـمـكـن يـسـكـت هـــو رجـــلٌ شـــوَّافٌ عـــرَّافْ

حواز:

صـــفـــوان لا يـعـمـل شـيـئًـا

عروة:

سيحاول كسب الإيقافْ

ريدي:

أبدًا هو أفلس لا يمكن يومًا يتنفسْ

هو أضحىٰ في حيرةِ نفسٍ

فرجان:

ودوار الفكر به عسعسْ

عروة:

صفوانٌ يستاهلُ هذا كم قيل له لا تستبلسْ

حواز:

هو أصبح للباقي عبرةْ هو ينزفُ حسرةْ

كحلاوي:

هو سلم أمرهْ

ريدي:

كحلاوي.. قم هاتِ الشاي

حواز:

أنا أشربْ قهوةْ

ريدي:

جـهـز تـعـمـيـرةْ مـع شـاي أعـــــطِ إلـــــىٰ عُـــــروةْ

حواز:

أنـــا أطـــلـــبُ سـحـلـبْ

ريدي:

اطـــلـــع يـــا ثـعـلـبْ

حواز:

أنـا أذهـبُ أبـحـثُ عـن عشوة يـمـكـن يـعـطـيـنـي لـهـوةْ

وأبـــشـــر سـيـدي عـرفـانْ

فرجان:

أذهـــب تـأخـذ لـك خـمـسة أو يـمـكـن تـقـسـم لـك كـسـوةْ

جارح:

ســـنـــقـــوم مـــعًـــا نـــحـــيـــي الـــنـــدوةْ

ريدي:

قـــومـــوا نـعـمـلـهـا نـــأخـــذهـــا عـــنـــوةْ

كحلاوي:

هـــذي الـطـلـبـات هـــــي خـــمـــسـة

مـــــن يـــــدفـــــع مـــنـــكـــم؟

ريدي:

في عـــقـــبِ الـــجـــلـــســـةْ

أنـــــــا مـــعـــكـــم آتٍ وســـــــأدخـــــــلُ خِـــلـــســـةْ

فرجان:

وأنـــــا مـــعـــكـــم في خـــلـــوةْ

معتوق (صوت ضمير):

«قـــومـــوا يـــا نَـــجَـــسَـــةْ»

ستار

* * *

المشهد الثاني

ليلي

في منزل صفوان... يتشاور مع أولاده ويحاور زوجه

أشخاصه:

صفوان - إيثار - نهاد - منال - عادل - طارق - عاد.

صفوان:

يـــا زوجـــتـــي دبـريـنـي ... يـا سِـــرَّ عـزمـي الـمـكـينِ
الـــحـــكـــم هـــز كـيـاني ... ومـســـنـــي في يـقـيـنـي
دعـــوت يـا رب هـــب لي ... حـكـمـًا فـخـابـت ظـنـوني

إيثار:

زوجـــي الـحـبـيـب تـريـث ... في الأمـــر فـكـر بـعـقـل
أنـــت الـتـقـي الـمُـصـلـي ... لا بـــد تُـــهـــدىٰ لـحـل
أولادنـــا ... في يـدينـا ... مـســتـقـبـل فـــوق كـل
لـــو واحـــد خـــاب منـهـم ... أَوْضـــاع عـشـنـا بـذل

صفوان:

إيـــثـــار فـــكـــرت جـــداً في أمـــرنـــا في سـكـون
أبـــصـــرت أن الـــتـــأني كـــنـــزي وعـــقـــلـــي وديـــنـــي
وجـــهـــت الله وجـــهـــي رب الـــبـــلاء الـمـبـيـن
أســـلـــمـــت بـــيـــتـــي إلـــيـــه أمـــانـــة في يـقـيـن
ولـــنـــتـــرك الـــبـــيـــت حـيـنـاً وإن تـــمـــادىٰ حـنـيـني
جـمـعـت بـيـتـاً بـعـيـداً نـبـقـىٰ بـه بـعـض حـين

إيثار:

لـــعـــلـــه «إيـــجـــار» فـــيـــه الـــظـــنـــون تـــحـــارُ
مـــن أيـــن نـــأتـــي خـلـوا ألـفـيـن والأجـــر نـــار ؟
أمـــا عـلـيـنـا ديـــون مـنـهـا عـرانـا الـــدوار ؟
لـمـا نَـــزَلْ في ســداد حـتـىٰ يُـتـاح الـيـسـار
نـبـقـىٰ لـدىٰ الـبـيـت حتىٰ يـتـم فـيـه الـقـرار

طارق:

يـــا أمـــنـــا لا تـظـنـي خـيـــراً بـخـصـم ألـد
في فـــرصـــة أمـكـنـتـه أضـحـىٰ قـــوىٰ الـتـحـدي
والـحـكـم تـنـفـيـذُ هـدمٍ مـا فـيـه مـسـعـىٰ لـود
فـلـنـتـرك الـبـيـت أجـدىٰ وضـعـاً لـحـلٍ أَسَـــدِّ

صفوان:

ذكرتني في بصيرة غدا ستأتي الخبيرة
ميعادها يوم حكم لقاؤها فيه حيرة
غدا ستأتي إلينا والبيت ندري مصيره
إن تم تقدير بيتٍ نلنا الأماني الكبيرة

نهاد:

يا أبي اسمع همسًا من بنات
تقذف الألفاظ حولي ملقيات
أينما يممت ألق الضحكات
اسمع الهمس يرىٰ في النظرات
ما أرىٰ معنىٰ لهذي الهمسات
إن إحداهن قالت في شمات
بيتكم يهدم فاصحوا من سبات
وسواها أمعنت في السخريات
لم أعد أحصي لهذىٰ الكلمات
ما لنا صرنا مثار الغمزات؟

إيثار:

يا ابنتي لا تُستشاري ما لشيء من قرار

أزمـــــة حـلـت وتـمـضـي فـتـحـلـي بـاصـطـبـار
لا يُـــروعـــنـــك هـم مـــالـــه أي اعـتـبـار
نـحـن لـــن نـخـسـر شيئـًا إن فـقـدنـا كـــل دار
وبـــكـــم نـبـغـي الأمـــاني في أمـانـيـنـا الـكـبـار
فـدعـي هـمـس الأعـــادي واصـــبـــري لا تُـستـثـاري

صفوان:

بـيـتـنـا بـــــاقٍ ويـبـقـىٰ لـــن يـــرىٰ هـمـًا وهـدمـا
مـن يـمـس الـبـيـت يصعق أو يـــرىٰ هـــولاً وعـدمـا
بـيـتـنـا يـحـمـيـه ربـي مـــن عـــدوٍ خـــاب عـزمـا
إن لـلـشـامـت يـومـًا أسـود الـوجـه أَغَـمَّـا

عادل:

يـــا أبـــي قـلـبـي دعـــاني أن أحـــس الـيـوم أمـنـا
لـــن يـخـيـب الـظـن في الله إذا نـحـن اعـتـزمـنـا
إنـــهـــا ظـلـمـة لـيـل كـربـهـا يـنـــزاح عـنـا
بـيـتـنـا كـالـدهـر بـــاقٍ إذ عـلـىٰ الـتـقـوىٰ بـنـيـنـا
نـحـن شـدنـــاه بـجـهـد ودم لـــم يـبـن غـبـنـا

منال:

يـــا أبـــي مـــاذا نـلاقـي أنـــت مـشـدود الـوثـاق ؟

كل يوم أنت تشكو من زمان ذي شقاق
بيتنا ماذا دهاه هل من المحذور واقي ؟
يا أبي ما الحل ماذا لو لجأنا للوفاق ؟

صفوان:

خصمنا بنتي عنيد ما له حس وقلب
أشعل الحرب علينا وهو بالعدوان صَبُّ
دينه حرب القضايا ما لنا فيهن ذنب
يبتغي هدماً لبيت ناره في القلب تخبو

عاد:

أهو البيت بناه أم بنىٰ البيت سواهُ؟

صفوان:

يا بني البيت نحن قد بنيناه فجنوا
أَلَّبَ الناس علينا ورمانا منه ضِغْنُ
قال إن الأرض أرضي ليته يقسو ويحنو
حوله أشرار خلق ما لهم في الخير شأن
يبتغون الكيد للناس وهذا الناس نحن

* * *

طارق:

أبـتـي لا تَـأْلُ جـهـداً نـحـن في هـم عـصـيـب
مـا لـنـا لـو نـحـن عُـدنـا بـيـتـنـا الـمـاضـي الـقـريـب
نـغـلـق الـبـيـت ونـمـضـي

صفوان:

عـلـه رأي مـصـيـب
إنـمـا الـبـيـت عـلـيـنـا طـرفـه أمـر غـريـب

طارق:

يـا أبـي عـمـي دعـاني وهـو في شـوق عـجـيـب
قـال لـي هـاتـوا مـتـاعـاً مـا عـلـيـنـا لـو نـئـوب

إيثار:

فـكـرة لا بـأس مـنـهـا لـو إلـيـهـا يـسـتـجـيـب

يدخل العم وابن العم وابن أُخت

العم صادق:

يـا أخـي مـاذا فـعـلـتـم ؟

صفوان:

فـعـل الله الـكـبـيـر

كسب الحكم علينا وأتىٰ منه نذير

صادق:

قد رأينا الحل لكن

صفوان:

أمرنا جِدُّ خطير

صادق:

يا أخي بيتك باقٍ لا تبالغ في الهموم
عد إلىٰ البيت

إيثار:

أي بيت ؟

صفوان:

إنَّه البيتُ القديمُ

إيثار:

لا أرىٰ بأسًا إذا ما فيه رجعنا نُقيمُ

مرسي:

مرحبًا هيا تعالوا ننقل الفرشِ إليهِ
أنا قد أخليت منه جانبًا فاغدوا لديه
نحن نبقىٰ في جوار ليس من بأس عليه

صادق:

إنـــــه رأي ســـديـــد صـــائـــب مـــن جـانـبـيـه

صفوان:

يـــا أخـــي لا بـــأس عـنـدي كـــــرم نـــلـــنـــا يـــديـــه
جـــانـــب مـــنـــه وفـــاء قـــد مـلـكـنـا راحـتـيـه
إنـــمـــا الآخـــــر عـمـق قـــد بـلـغـنـا شـاطـئـيـه
فـــوت الأمـــر عـلـىٰ الـخـ ـــصـم بـكـلـتـا فـرصـتـيـه
نـرقـب الأمـــر عـلـىٰ قـرب ونُـــرســـي دفـتـيـه

تامر:

ذلـــك الـحـل أيـــا خـالـي فـــلا تـبـخـل عـلـيـنـا
لا تـقـل خـصـم زمـاني هـو يـخـشـىٰ مـا انـتـويـنـا
يـحـسـب الـخـصـم بـأنـا عـــن صـــراع قـــد لـويـنـا
أنـــت يـــا خـــالـــي مـنـارٌ إن تـغـب عـنـا انـطـويـنـا

صفوان:

مـــن غـــد أفـــضـــوا إلـيـنـا وانـقـلـوا هـــذا الـمـتـاع
كـلـكـم أبـــدىٰ شـعـوراً طـيـبـاً رحـــب اتـســاع
رد في الـــعـــزم حـتـىٰ لـــم أجـــد لـلـهـم داع
كـنـت في لـيـل هـمـومـي شـاكـيـاً مـر الـصـراع

كنت أبغي ترك أرض ألت فيها للضياع
كنت أخشىٰ جَرَّ أهلي لأهاويل اصطراع
لا أحب الشر يُلقي بيننا نار النزاع
فليضع بيتي وقومي في سلام أو وداع

مرسي:

أنت يا عمي لدينا قلعة ذات امتناع
أنت رمز للتحدي رمت فوق المستطاع
لم تلن عود الخصم منك أضحىٰ في ارتياع

صفوان:

ما عليكم من جناح سَانَدَتْ كفي ذراعي
من أخٍ أدركت أني وابن أخت في اقتناع
لم يضع سعيي هباء إنني للنصر ساع

ستار

* * *

المشهد الثالث

سهرة في قصر.. ساحة صَفَتْ بأرائِك وكراسي

أشخاصه:

عرفان - حواز - عروة - ريدي - راضي - جارح - فرحان.

(عرفان يتحادث مع راضي يدخل حواز).

حواز:

سيدي عرفان مبروك .. كسبت الأحكام.

عرفان:

ماذا تقصد يا حواز ؟ أنا عارف قصدك تبغي الأتعاب .

حواز:

سيدي ربي يخليك أو يجعل لي البركة فيك .. يملأ جيبك يُسْرُ..

عرفان:

أنا عارف .. أنا عارف .. خذ يا حواز .. هاهي ذي الخمس جنيهات هات لك مركوب[1].

(١) مركوب: الحذاء القديم، في بعض لهجات أهل الصعيد.

عروة:

كم أنا فرحان .. أنا جئت أبارك أنا عاوز .....

عرفان:

عارف ما تطلب ... خذ هذا جلباب يكفيك ؟

عروة:

يكفيني رضاك .. وأراك في أحسن حال

عرفان:

شكراً يا عروة.

ريدي:

يا سيد عرفان من يومك شهم بحبوح تستأهل كل الإخلاص من خدمك ورجالك ... من منا ينسىٰ ذلك؟

عرفان:

لا يمكن أنساهم .. ونصيبك باقي يا ريدي ويا راضي .
لا يمكن أنساك . يا قطب السهرة ومسلي ضيوفي.

جارح:

كم أنا فرحان بالحكم لصالحك .. عقبال .. ما تكسب في كل الأحكام أدبت لئامًا وبلغت مَرَامًا ربي يهنيك.

عرفان:

أقبل يا جارح . خذ لك خمس جنيهات عربون الشبكة.

حواز:

بالحق أيا سيدي «عرفان» دايمًا تكتيكك مضبوط من يقدر بتنفس قدامك .. أنت المنصور وغيرك مقهور.

عرفان:

أيه حواز .. أخرج ما عندك .. واذهب للمطبخ .. زامل فرجان .. واشرب لك فنجانًا .. خذ (علبة سوبر)[1] تكفيك؟ أو خذ لك باكو دخان فلعلك خرمان.

حواز:

يكفيني سلامتك ودوام الصحة والنصرة لك وحدك في باقي الأحكام. أدب صفوان وأمثاله.

فرجان:

ربي يرعاك.. وبصون خطاك.. لا تنس نصيبي.. أنا لحمي من خيرك.. خيرك في جيبي.. يا ساتر عيبي.. من جسمي لثوبي.

عرفان:

خذ هات سجاير.. خذ كيلو لحمًا لعيالك.. في وقت رواحك.. وعليه خمس جنيهات وخذلك قفصي رُمّان.

---

(١) علبة سوبر: نوع من السجائر صناعة محلية (كليوبترا سوبر).

فرجان:

محسوبك.. أنا لحم كتوفي من خيرك.. من ينكر خيرك.. أنا أعمل في صمت.. جهدي معروف مع كل ضيوفك.

عرفان:

جهزت طعامك.. جعنا اتحفنا ما عندك وبسرعة قم عش السهرة.. وكفانا ضحكاتك فرجان خفف حركاتك.

فرجان:

حواز.. هات الأطباق.. ساعدني هيا في السهرة قم رُص الخبز.
هاهي ذي شربه بأرانب ها هو ذا أرز بالفلفل.. وشرائح بوفتيك من لحم مشوي خذها لهناك.. وأخيراً أطباق الحلوىٰ.

حواز:

سيدي عرفان.. الأكل أعد.. ومن فضلك.. ذي ليلة عيد.. وَسَعْتَ علينا وكسوت عيالنا من راسنا ليدينا.

معتوق (الراوي، صوت الضمير):

وتتم السهرة في صخب الفرحة.. ويعود أبطال التمثيل في يوم آخر.. يا خسارة الناس.

ستار

* * *

المشهد الرابع

فوق ناصية شارع.. ويمر صفوان مع ناصح

أشخاصه:

صفوان - بهتان - حويل - جعلط - ناصح.

بهتان:

من أين أتيت أيا جعلط؟ أنا شايفك هايص ومزغلط.

جعلط:

أنا جئت من السيما.. من فيلم الطاحونة. من داير ناحية القرية. ما تبغي بهتان؟ يا سبع زمانك من يملا مكانك؟

بهتان:

أسمعت بحالة صفوان..؟ هو يلطف بالحال.. قد ترك البيت.. عَزَّلْ من بارح.. أنا قال لي جارح.. عرفان كسب الأحكام.

حويل:

يكفيه ما حصل اليوم أو الأمس.. مسكين هو حائر نفس. كم قلت له.. سلك حالك.. ويحل الدور.. كما قلنا.

بهتان:

أنا قلت له خلص نفسك.. لم يسمع.. أبداً بل ركب الرأس.. ونهاية ذلك حكم بإزالة يستاهل.

جعلط:

هو قادم.. يا سيد بهتان.. أندهه لك أو أسخر منه؟

بهتان:

لا مانع ناوشه أيا جعلط.. نرفزه بكلمة هات في المليان.

جعلط:

افعل.. أوقفه بناصية الشارع.. وافتح موضوع الأحكام.

يمر صفوان مع أحد رفاقه

بهتان:

أَوَ حقًا يا سيد صفوان.. قد كسب الجولة عرفان؟

صفوان:

لا يعني هذا.. في نظري شيئًا.. يكسب عرفان.. يخسر صفوان.. سيان.

بهتان:

أخطأتم أنتم وبنيتم وغصبتم أرضًا ووقعتم يا شر لئام
لو كنتم فكر ثم قبل الأقدام لم يكسب منكم عرفان الأحكام

صفوان:

لـم نـغـصـب أرضـــًا مـن أحـد أَوَ تشمتُ فينا يا «كِير خِصَامْ»؟

بهتان:

كـنـت بـالأمـس عـنـد بيتي عشاء وسـمـعـت الـحـديـث راويـه جاء
قيل (عـرفـان) كـان أُعطي حكمًا مـلـك الأرض بـه ثـم الـبـنـاء
وغـــداً تـأتـي لـكـم قـــوات أمـن تسلم الأرض وتـلـقـون الـعـراء

صفوان:

أيـهـا الـشـامـت لا تـفـرح كـثـيـراً حـقـنـا في الأرض بـــاقٍ والـبـنـاء
نحن لسنا غاصبي أرض ولسنا قـد تـعـديـنـا ولـكـن بـالـشـراء
بـائـع الأرض مـقـيـم لـم يـزل فـهـو مـسـئـول عـلـيـه الـغـرم فـاء
إن يـكـن صـلـح فـلا بـــأس به أَوْ يكن هـدمٌ لما شِـدْنَـا سواء
فـاسـتـرح بـهـتـان مـن كـيـدٍ ومكـرٍ إن مـا أضـمـرت تمحوه السماء

بهتان:

لم أكن أدري بأن الغصب يجدي أو يـضـيـع الـجـهـد فـيـه كالهباء
أنـت قـد ألـقـيـت في وادٍ جديب زرع عمرٍ غـاص في جـوف العراء

صفوان:

أنـا بالحكم الـــذي يـرضـاه ربـي راضـــي الـنـفـس قـوي الـكـبـريـاء
لـن أَذِلَ النفس يومًا لابـن أنثىٰ أيـنـمـا يـمـمـت في روحـــي إبـاء

ناصح:

دعكما بهتان ..يـا صـفـوان مما كـان بالأمس ففي الصبر الجزاء
أي جـدوىٰ في التشفي من مصاب يـرهـق الـجـار ولـلـجـار الـعـزاء
ليس بـدعـًا أن يُـزيـل الله حكمًا فـيـه إعـــدام بـه الـجـاني بـراء
اضربا صفحًا فَـرَبُّ الحق أحرىٰ أن يـرد الـحـق أو يعطي الـفـداء

ستار

* * *

الفصل الخامس

حوار وبوادر صلح

محاورة بين أفراد أسرة صفوان في مشكلة البيت
وآثار حكم الإزالة وبوادر صلح وعودة

المشهد الأول

في بيت صفوان أولاده من حوله - إحساسه بالإعياء، والشرود الفكري والأولاد يتساءلون

أشخاصه:

إيثار - صفوان - نهاد - طارق - عادل - منال.

إيثار:

صفوان مالك ساهٍ ... مفكراً في شرود
أهمَّك البيت حتىٰ ... ضُيعت كل الجهود
ما كان أولىٰ بمثلي ... لطمي لتلك الخدود
رميت زهرة عمري ... في البؤس هَلْ من مزيد ؟

صفوان:

إيثار كفىٰ عتاباً ... لا توقظي من همومي
الدهر عض جنابي ... بنابه الممموم
وأرهقتني القضايا ... في بيتي المظلوم

ولاحقتني البلايا بمعصرات الغيوم
غُيُومِ هَمٍّ كئيبٍ يَهُدَّ عزم الجسوم

إيثار (يا حسرتي يا أساي):

ماذا وراء القضايا غير الأسىٰ والبلايا ؟
ضيعت أيام عمري ولم أحقق مناي
اليوم لا بيت سكنىٰ آوي له في أساي

صفوان:

كُفىٰ فلا حل عندي والسعي ما عاد يُجدي
ألست في حالِ ضنكٍ ومعضلات أشد ؟
فقدت بيتي ومالي أمام خصم ألد
أغرىٰ القضاء بذبحي ولم يزل في تحد
فَرَّ الكرىٰ من عيوني وزاد همي وسُهدي

نهاد:

أبي غدونا كَلَا لَة مذ كان حكم الإزالة
ألم تقل قد رفعنا دعوىٰ بإثبات حالة ؟
ألم تفدنا بشيء يرخي علينا ظلاله ؟
أم أنها حلم ليل في الصبح نلقي زواله ؟
قل يا أبي أين كنا بين القضايا المحالة ؟

صفوان:

بُنيتي ما علينا قمنا به من تصدىٰ

بَـــــذْلٌ تـــسـامـىٰ عـطـاءً يُـــريـــك مـعـنـىٰ الـتـحـدي
لـخـصـمـنـا مـــا ذلـلـنـا وضـــعـــًا لـــه عـــنـــد حـد
والـصـبـر حـصـن اعـتـصـام في كَـسْـبِـنَـا الـنـصـرَ يُـجـدي

طارق:

أبـــــي تـــمـــســـك بـحـق وراءه ســـعـــيُ طـالـب
فـلـيـس يـــذهـــق حـق لـــه لـــســـانٌ مُـطـالـب
ألـــم نـكـن قـــد شـربـنـا لـــلأرض مـن غـيـر غـاصـب ؟
أمـــا بـنـيـنـاه بـيـتـًا مَـــصِـــيـــرُهُ غـيـر ذاهـــب ؟
الـبـيـت مـن ذوب كـدح لـــدىٰ جـهـاد مـصـاحـب
إن كـــان مـن بـــاع أغـضـىٰ لـلـطـرف عـمـداً لـكـاسـب
مـــن رام سـلـب حـقـوق لـلـغـيـر فـالـسـلـب خـائـب
ســنــرفـع الـظـلـم عـنـا عـــدل الـسـمـا غـيـر غـائـب
دعـنـي أبـــي ســوف أُلـقـي ســهـم الـدفـاع الـمـغـالـب
وراءهـــــم في الـقـضـايـا حـتـىٰ تـــزول الـغـيـاهـب

إيثار:

كـــم فـرحـتـي بـــك تـربـو بـــنـــي حـــيـــاك رب
أذهـــبـــت عـــنـــا أســانـــا وزال هَـــــمٌّ وكـــرب
دافـــــع بـقـلـب جـسـور وعـــزمـــه لـيـس تـخـبـو
قـــد عـــاد بـيـتـي لـحـضـنـي وضـمـنـي مـنـه جَـنْـبُ

أحـــــس أنـــــي إلـيـــه رجعـــــت وازداد حُـــبُّ
أنـــتـــم لـديـنـا بـيـوت عـلـىٰ ثـبـات تُـصَـبُّ
نـضـالـكـم شُـــرُفَـــاتٌ لـــدىٰ قـصـور تُـحَـبُّ
أعـــلامـــهـــا في يـديـنـا فـــوق الـكـواكـب تـربـو

عادل:

أبـــي وأمـــي اسـمـعـا لي أخـتـي أخـــي انـصـتـا لي
لا تـحـسـبـوا أن مـثـلي عـن جـهـدكـم في اعـتـزال
عـنـدي بـربـي يـقـيـن يـشـدني بـاتـصـال
لـبـيـتـنـا في فـــؤادي ركـــن مـن الـحـب عـال
لـحـيـرتـي كـــان سـرا ومـــا خـلا مـنـه بـالـي
فـكـرت فـيـه كـثـيـرا وأرقـتـنـي الـلـيـالـي
بـيـت بـنـيـنـاه يـبـقـىٰ مـرفـوع صـرح الـمـعـالـي
حـق عـلـيـنـا وفـرض مُـضـيُّـنـا في الـنـضـال
نـــردُّ مـــن جَـــارَ عـنـا مـن شـرذمـات الـضـلال

صفوان:

شـكـراً بـنـي جـزيـلاً حـقـقـت فـيـك مـرادي
بـنـي شـدوا الأيـادي عـلـىٰ سـبـيـل الـجـهـاد
بـالـحـق لا بـالـتـعـدي شـأن الأبـي الـجـواد
قـانـونـنـا في يـديـنـا نـبـراس نـورٍ وهـاد

انتم بني رجائي وقوتي وعتادي
سيروا علىٰ نور عقل حياة رب العباد
شعارنا في التصدي لرد كيد الأعادي

منال:

أمي أبي لم خرجنا ؟ من بيتنا المحبوب ؟
وأين يا أم نمضي لصاحب أم قريب ؟
ضاقت علينا النواحي في جوف كون رحيب
إلىٰ متىٰ نحن نُسقىٰ عسف الزمان الكئيب ؟
لا بيت لا عيش يهنا أمي أبي .. مَنْ مجيبي ؟

إيثار:

لا يا ابنتاه اطمئني وفكري في تأن
لا تملئي القلب يأسًا منال يا نور عيني
تفاءلي ثَمَّ خيراً في جو بشر وأمن
ما البيت كل الأماني بل فيه بعض التمني
إن زال بيت سُيبنىٰ بيت سواه لحصن
بالجهد نحيا ونبني بيت المنىٰ فاطمئني

* * *

نهاد:

نفد الصبر وقد طال انتظاري وتمادىٰ في ترجيه اصطباري
كم أحس القلب في صدري كئيبا خابي البسمة في سجن الحصار
كأسير وراء قضبان سجن مظلم القاع حديدي الجدار
كلما أبصرت بيتي في وجوم تعصف الأفكار في قلبي كنار
إن تراءىٰ شبح الهدم أمامي أتواري في غيابات انكسار
حولنا الناس فريقان سعيدٌ وشقي شامت أمسىٰ يمارىٰ
أين نمضي إن تهاوىٰ بيتنا تحت أنياب الأعاصير الضواري
إن أر البلدوزر الهاوي بهدم شاحذ الأسنان يعروني انهياري
يا أبي ما الحل في خطب دهانا لا قريب أو بعيد في جواري
أين من باعت لنا الأرض وماذا عملت من حيلة ذات اقتدار؟
أَمِنْ العدل ترانا دون بيت وهي عنا في غيابات اِزْوِرَارِ؟

صفوان:

يا ابنتي قمنا بما كان علينا ورفعنا ضدها إثبات حالة
تحمل الغرم إذا عيت دفاعا بل عليها جرم ما ذقنا احتماله
بل عليها كل تعويض مذل ما لها في دفع هذا من محالة
نحن قدرنا وفكرنا وقلنا كل ما نبغي إذا تمت إزالة
إن نعوض صاحب الأرض بأرض مثلها عدنا وحققنا منالة
أو يتم الصلح إن شاءت وشئنا ليس في شيء طلبناه استحالة

طارق:

سوف نمضي في صراعات القضايا ... وهـي مُـرٌّ كـأسـهـا غَـثُّ الثمالة
قـد سقيـنـاهـا ونـسـقـيـهـا أسـاهـا ... ضعف مـا ذقـنـا ونسقيها نَكَـالَـةْ
هـي والـخـصـم معـًا كـانـا علينا ... مـنـذ حـمـلـنـا مـن الـبـيـت ثـقـالـة
حرب الاستنزاف من جهد ومالٍ ... قـد سُـقـيـنـا رشـفـهـا ذقـنـا وبـالـه
يدنا في النار كانت وهـي وَسْـنَىٰ ... في زُلال الـنـوم لـم تـنـزع غلاله
حـولـنـا دارت رحـاهـا في صـراع ... وهـي في نـوم خَـلَـتْ فـكـراً حياله
أي تـعـويـض يـوازي نـار حـرب ... ذاك عـبء لـم تُـجِـبْ عنا سؤاله
إن تُجبه زال ثقل الـحـرب عنـًا ... واتقت من جمر مضريها اشتعاله

عادل:

أ تُـرىٰ لـو نحن غـادرنـا الـديـارا ... ورحلنا هـل نَـرىٰ داراً وجـاراً ؟
هـل لـنـا مـن بـلـدة نـأوىٰ إليها ... إن قصدناها اختياراً لا اضطرارا
هـل نُـريح القلب مـن هـم انتظار ... لـم نـعـد نَـسْـطِـيـعُـهُ الأغـــرارا ؟
لـو إلـىٰ سينا رحلنا وهـي أرض ... قـد نـرىٰ فـيـهـا مـــلاذا واسـتـتـارا
علنا فيها نـرىٰ السُّكنىٰ ونبقىٰ ... طيلة العمر ونبلوه اصطبارا !!
في ربـا الـفـيـروز أو أحـضـان طابا ... قـد نـرىٰ الـمـأوىٰ وإن شـط مـزارا

طارق (دعوة إلىٰ رحيل عن الأرض):

فـكـرة لا بـأس إن تـمـت ففيها ... كـل مـا نـبـغـي إذا طـبـنـا قـرارا
أو نـرىٰ الـوادي هنا في طـور سينا ... ثـــورة الـتـعـمـيـر شـادتـه ديـــارا

يـا أبـي لا بـأس أن تُـنـقـل إليها نـلـق فـيـهـا مـا حـرمـنـاه صـغـارا
تـتـرك الأرض الـتـي شـدنـا عليها دارهَـــمٍّ قـد شـربـنـاه سـكـارىٰ
خـدرتـنـا بـعـض حـيـن وانـتُـزعـنـا مـن كـرىٰ حلم مضىٰ منا وطـارا

إيثار (تشبث في الدفاع عن البيت):

تـلـك أوهـــام بـنـيـنـاهـا قـصـوراً واقــع الأيـــام أجـراهـا حـوارا
نـتـرك الأرض الـتـي عشنا عليها زهـرة الـعـمـر ونـنـسـاهـا كـبـارا ؟
كيف ننسىٰ للصبا داراً ونمضي في فـيـاف مـا ألـفـنـاهـا قـفـارا ؟
فلنظل الـدهـر في أرض عليها أورق الغصن وقـد أبـدىٰ الثمارا
ولـنـنـاضـل عـن ثـرىٰ بـيـت بنينا بـالـدم الـغـالـي وإن ذقـنـا الـمـرارا
إن تـــرك الـــدار شـيـدنـا بـنـاهـا قد غدا عـاراً فهل ترضون عـارا ؟

عاد:

يـا أبـي نبقىٰ هـنـا في جـنـب بيت مـولـدي فـيـه وإخـــواني وأهـلـي
بـاسـط خـلـي وإسـمـاعـيـل فيه وعـبـيـر في ربـــا زهـــر وفـل
لا أريـد البعد عن سلوىٰ وميمي أو عُـلُـولٍ بـيـن أشـجـار ونخل

نهاد:

تـلـك أفـكـار تـغـاديـنـا وتمضي كـخـيـال الـظـل في طـول وعـرض
بـيـتـنـا أولـــىٰ بـنـا مـن كـل بيت مثل تـرك البيت تفريط بعرض
لـم خـرجـنـا مـنـه هـل حـتـم علينا تركه خلواً وبعض البيت بعضي؟
فلنناضل عنه قـهـاري خُـطُـوبٍ قـد حملنا نفلها درعـًا لفرض

صفوان:

ذا شعوري مثل ما أحسست بنتي كـل مـا أبتـغيـه أولادي وبيتي
أنــه عـرضـي وآمــالــي ومـالـي غيره مـأوىٰ لدىٰ جهري وصمتي
أصدقيني الـرأي يا زوجـي ومدىٰ راحـة الـعـون وكـوني حيت شئت

إيثار:

قـد سمعت الأمــس أنـبـاءً تسر

صفوان:

أي أنــبــاء ؟

إيثار:

لــعــل الأمـــــر سـر

صفوان:

هـــل جـــرىٰ أي حـــوار ؟

إيثار:

قـــد جـــرىٰ بـــل تـــم نـصـر

نهاد:

أي نــصــرٍ بـعـد يـا أمـي أجـــيـــبـــي

إيثار:

تـــم صُـلـح

منال:

بـــيـــنَ مـــن يـــا أم

إيثار:

بـــيـــن عـــرفـــانٍ بين عرفانَ وسمحاء

طارق:

أصـــــفـــــحُ؟

إيثار:

لِـــــمَ لا يـــحـــدثُ صُـــلـــح؟

صفوان:

كـــل شـــيء جـــائـــزٌ

طارق:

أمـــــرٌ مُـــلـــحُ

صفوان:

نـــرقـــبُ الأحـــــداث مـــن بُـــعْـــدٍ

إيثار:

وذا رأي أصـــــحُّ

عادل:

أُم مـــن أدراكَ هـــذا؟

إيثار:

أخبرتني عنه بالأمس فلانهْ

طارق:

إي وربـــي إنـها أُذن إليه

إيثار:

وعليه

صفوان:

إنـها رمـــزُ الفطانةْ

إيثار:

سَـــمِـــعَـــتْ منـه كـلامـًا

طارق:

سـجـلـتُـه في أمـــانـــةْ

إيثار:

أقـبـلـت تـسـعـىٰ إلـيـنـا أنـــبـــأت عـنـه امـتـنـانـه
قـالـت استـصـغـىٰ لـعـقـل وضـمـيـر .. قـد أدانـــه
قـال مـا ذنـب الـضـحـايـا راجـــع الـقـلـب حـنـانـه

صفوان:

ما علينا كيف تم الصلح ؟ أو ندري مكانه

إيثار:

قد سمعت الناس يلغون بقول

صفوان:

صدقيهِ

كل ما يحدث خير ذات يوم نجتليه

طارق:

قد سمعت الصلح قد تم وأضحىٰ بين عرفان ومن راحت تَلِحُّ
قيل مجرىٰ الماء قد سال ومنه انسال سَفْحُ
وجرىٰ الود زُلَالاً صافياً

صفوان:

لله منح

وفق الله المساعي واشتفىٰ للقلب جرح
رُبَّ ليلٍ من بلاء هو للآمال جُنْحُ
وعسىٰ يُكره شيء فيه بالأعماق نُجْحُ

نهاد:

أ تلك معجزة أم أنها علم أم أنها حيلة في طيها أَلَمُ؟

طارق:

كـلَّا وربـي أراه صـلـح مصلحة فيها الـجـراح بقلب الكل تُلْتَئِمُ
ظلَّا زمانًا يُذيقانا الأسىٰ غصصًا من العذاب وما قد رُوْعِيَتْ ذِمَمُ

صفوان:

الصلح خير إذا النيات قد صدقت وبـاعـد النفس شُـحٌّ حين تلتزم
الصلح خير إذا صينت مصالحنا وروعـي العدل لم تُخرق له حرم
لـمـثـل هـذا نـمـد الـراح راضـيـةً وعـن جوانحنا تُستدفع الظلم
أمـا هـو الصلح يبدو في ملامحه صلح يُحِسُّ به الأطـراف والحكم
ولـم يُـحَـرِّفَـهُ حقد عـن مواضعه من عصبة السوء من في قلبهم نَقَمُ
مضمونه وقـف أحـكـام مـروعـة فيها الإزالـة لـم يلبث لـهـا قـدم
ردت معالم حـق رَوْحُـهُ نبضت في كل قلب فَوَجْهُ الصلح مبتسم
زال الـخـلاف وَرَفَّ الـود بينهما وذاق طـعـم جـنـاه مـهـجـة وفـم
كـانـت قديما خـلافـات مؤججة ذقـنـا مـرارتـهـا وانـتـابـنـا السقم
والـيـوم عـنـدي يقين لا يخالجه طعم مـن الشك في أحضانه نعم

عادل:

ألـم أقـل أنـهـا يـا إخـوتـي فُرجت وزال عنا إلـىٰ أعـدائـنـا الألـم ؟
نبض اليقين بـهـذا الصلح نبأني مذ كان قلبي لرب الخلق يحتكم
كـنـا مـع الله فـانـجـابـت غياهبها وأشـرق النور ويحي زالت الغمم

بشير:

جاء البشير ألا عودوا منازلكم لا غـــرم لا جـرم

صفوان:

جـاء الـغـيـث والـكـرم

معتوق:

وتـلـك قـصـة بـيـت في حـوادثـهـا مـن رحـمـة الله مـا لـم ينحوه قلم
فـيـهـا ابـتـلاء لـعـبـد نـال رحمته وفي جـوانـجـه الأحـلام تضطرم
لـعـلـهـا عـبـرة الأيـــام نـاطـقـة أيـقـظـةُ مـن مـنـام تلك أم حلم ؟

ستار

* * *

انتهت مراجعة وتشكيل الشاعر للمسرحية بخطِ يدهُ
في ١٠/ ٣/ ١٩٨٥م

محتويات الكتاب

تقديم بقلم عماد عبدالمجيد فرغلي ٥

مقدمة ٧

الفصل الأول

أسرة صفوان تبحث عن أرض تبنيها بيتاً ١٥

الفصل الثاني

بناء البيت - صراع بين صفوان وعرفان ٣٩

الفصل الثالث

محاكمة بيت.. وحكم إزالة ٥٧